وقفة مع بعض دعاة « تحرير المرأة »

١ ــ إحسـان عبد القدوس :

(وهو أحد المسئولين عن إفساد هذا الجيل بما كتبه من روايات تجر الشباب جرًا إلى القاع ، وتقتل فيهم نوازع السمو والسعي نحو مستوى خلقي أفضل ، إنه يرضى مظاهر واتجاهات الانحراف ، فيشجعها ويمجدها ويفلسفها ، ويرصد اتجاهات الاستقامة والفضيلة فيخذلها ، ويصدر عنها ، ويحاربها)[٢٥٩] .

يقول « إحسان » : (إن إيماني بحرية المرأة ليس له حدود) .

[وقد كتب في إحدى توجيهاته التي كان يبثها في المجلة التي تحمل اسم والدته اليهودية (روزاليوسف) : (إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها ، وتذهب إلى أبيها ، وتقول له : « هذا صديقي » !) ، وقال في « أخبار اليوم » : إنه زار إحدى الجامعات الألمانية ، ورأى هناك من أوضاع الطلاب والطالبات كذا وكذا ــ مما يرفَضُّ جبين القلم من الخجالة تسطيره ــ ثم قال : (فقلت في نفسي : متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط ! لكي تراه عيون أهل الصعيد ، وتتعود عليه !)اهـ[*] .

(وما زال « إحسان » يقف مع كوكبة من أمثال « لويس عوض » و « نجيب محفوظ » و « مصطفى أمين » و « يوسف إدريس » في إصرار عجيب على الترويج للفحشاء وتبريرها في نفس الوقت الذي أخذت فيه ظاهرة المرأة المسلمة المحتشمة تبدو واضحة في كل مكان على أنها واقع أصيل يصفع الداعين إلى الشهوات والآثام)[٢٦٠]

---

(٢٥٩) مجلة (المجتمع) الكويتية العدد (١٨/ ١/ ١٩٧٧ م) .

(*) انظر : «واقعنا المعاصر» ص (٢٩٤ ـ ٢٩٥) .

(٢٦٠) انظر : «الصحافة والأقلام المسمومة» ص (٢٠٥) .

٢ ـــ نجيب محفوظ :

[الشاك في كل قيمه ، المتذبذب في كل فكره ، الضائع في كل واد ، المتحدى لعقيدة الأمة ، والمتجه ناحية المشارب الأخرى يعب منها حتى يطفح ، فيفيض ما عليه على غيره ، وينتكس بعد ذلك إلى غيره][٢٦١] .

[وقد اتضح في آثاره ظاهرتان خطيرتان **أولاهما** : إشاعة الفاحشة ، وتبريرها ، **وثانيتهما** : الإلحاد ، ولهذا يوليه الماركسيون اهتمامًا خاصًا ، وقد استخدموه في دعوتهم إلى الإباحية وإلى المفاهيم الهدامة للأسرة والفتاة ، وعمل المرأة ، وعلاقتها بالرجل][٢٦٢] .

٣ ـــ مصطفى أمين :

خريج مدرسة « التابعي » ، والصحافي البارع في وضع السموم في علب ملونة حلوة المظهر تخدع القراء ، قال الأستاذ « أنور الجندي » (كان « مصطفى أمين » يصنع الأصنام ويعبدها ، ويحاول أن يجر الشعب معه ليسجد لتلك الأصنام) ، ومن مواقفه إزاء حركة الإصلاح الإسلامي قوله :

(حارب الأحرار في هذه البلد سنوات طويلة لتحصل المرأة على بعض حقها ، ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة بنا إلى الوراء وقد يحدث هذا في أي مكان ،

---

(٢٦١) انظر : « الصحافة والأقلام المسمومة » ص (١٨٩ ـــ ١٩٦)
وإذا عرفنا أنه صنيعة (طه حسين) و (سلامة موسى) لم نستغرب اجتهاده في تحطيم الشباب ، فإن أستاذيه كانا يعرفان أنهما يقدمان سمًا من نوع خطير إلى الأجيال الجديدة ، فيخدمان به دعوتهما ، ويكونان جيلًا يحمل أفكارهما ، انظر المرجع السابق ، ص (١٨٦) ، (١٨٩) .

(٢٦٢) السابق، هذا وقد كافأته الأيدي الملحدة الأثيمة بمنحه جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٨ لتأليفه رواية « اولاد حارتنا » وجاء فى حيثيات الترشيح الرسمية ان الرواية تعنى بالبحث الازلى للإنسان عن القيم الروحية ، فآدم وحواء وموسى وعيسى ومحمد ، وغيرهم من الأنبياء والرسل يظهرون فى نخف طفيف) اهـ ، وقد نشر ملخص هذه الرواية بجريدة النور عدد (٢٢ ربيع الأول ١٤٠٩هـ) ، فإذا بها تتضمن الإلحاد فى ذات الله ، والتفريط فى جنب الله ، والاستهزاء بكعبة الله ، والتطاول على مقامات أنبياء الله ، وتجريح رسل الله ، بما فيهم موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والاستخفاف بملائكة الله ، بحيث يتحقق فى صاحب هذ الرواية قول القائل :

وكنت امرءًا من جند إبليس فارتقى ... بى الحال حتى صار إبليس من جندى

ولا نبالغ إذا قلنا فى ضوء هذه الرواية التى رقعت بوثنيات اليونان ، وإباحيات الرومان ، وخبث الماسون ، وإلحاد الماركسيين ، لا نبالغ إذا قلنا إن انتساب « نجيب محفوظ » إلى البشرية عار على الجنس البشرى ، وأولى به أن يرجم كرجم العرب قبر أبى رغال ، وإن الكفر البواح ، والشرك الأكبر الذين تلبس بهما ليجعلانه عدوًا لدودًا لكل ذى دين ولو كان يهوديًا أو نصرانيًا ، بله المسلم الموحّد .

ولكن لا نفهم أن يحدث في الجامعة مهد التقدم والفكر الحر)[٢٦٣].

ومع أنه قلما يفصح عن أهدافه، إلا أنه كتب يوماً تحت عنوان : « الأهداف التي ستعمل لها مصر بعد الاستقلال »[٢٦٤] وجعل من أهدافه التي سيعني بها، ويقود لها الرأى العام : (أن يحارب التعصب الديني، وأن يجدد الأزهر، وأن ينادي بتحرير المرأة قلبياً، لأن الحب الطاهر لا يزال جريمة يعاقب عليها المجتمع، والمجتمع المصري إلى اليوم مجتمع لا روح فيه لأنه خالٍ من المرأة، والشباب المصري لا شخصية له لأنه ليس في جياته امرأة ... ومن أهدافه أن يشجع المرأة على المطالبة بحقوقها السياسية، وتولي الوظائف، وأن ترث كما يرث الرجل تماماً، وأن يدعو إلى اتحاد شرقي لا اتحاد إسلامي[٢٦٥]، على نظام الولايات المتحدة الأمريكية)[٢٦٦]، ومع أن أسمي ما تطمح إليه الأمة في هذا العصر هو تطبيق الشريعة الإسلامية نجد « مصطفى أمين » يسفه هذا المطلب، ويقول : (إن حضارة مصر عمرها سبعة آلاف سنة، ولا يمكن أن تعود القهقري إلى الخلف)[٢٦٧].

٤ ــ نزار قباني[٢٦٨] :

وهو من عصابة المجان الكارهين لما أنزل الله، المحرضين على الفساد والفاحشة، يقول في بعض احاديثه : (لو كنت حاكماً لألغيت مؤسسة الزواج، وختمت أبوابها بالشمع الأحمر)، ويقول مستهزئاً : (العرى أكثر حشمة من التستر)، وقد حمل لواء الرفض لكل ما يمت إلى الإسلام والعروبة بصلة، ويعده المتحررون من أعمدة الدعوة

---

(٢٦٣) (أخبار اليوم) (٥ نوفمبر ١٩٧٧م).

(٢٦٤) وتاريخ المقال (١٥ مارس ١٩٤٣م) بمجلة الإثنين).

(٢٦٥) بهذا النص !

(٢٦٦) انظر « الصحافة والأقلام المسمومة » ص (٩٩ ــ ١٠٦) .

(٢٦٧) انظر « الصحافة والأقلام المسمومة » ص (٩٩ ــ ١٠٦).

(٢٦٨) « الصحافة والأقلام المسمومة » ص (١٦٧ ــ ١٦٨) بتصرف .

إلى تحرير المرأة، قال الأستاذ « أنور الجندي » : [أما شعر « نزار قباني » الذي أوسعت له الصحافة العربية الصفحات فيكفيني في التعريف به ما كتبهُ « محمد سالم غيث » في كتاب له حول شعر « نزار » يقول : لقد خلع « نزار » ثياب الرجل كثيراً، ولبس ثياب المرأة، التي حكم عليها هذا الشرق الغبي بالإعدام » حتى إنه ليقدم أحد كتبه الفاجرة إلى طالبات الجامعة الأمريكية، ويقول : « إنه كتابكن، كتاب كل امرأة حكم عليها هذا الشرق الغبي الجاهل بالإعدام، ونفذ حكمه فيها قبل أن تفتح فمها، ولأن هذا الشرق غبي وجاهل ومعقد يضطر رجل مثلي أن يلبس ثياب امرأة، ويستعير كحلها، وأساورها ليكتب عنها، من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء، ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية » ؟

ولا نستطيع أن نعلق على هذا إلا بما كتبه « صالح جودت » قائلاً :

« لا رحم الله نزار : لقد مات كسوريٍّ، ومات كعربي، ومات كشاعر، ومات كإنسان »[٢٦٩] اهـ .

شـعـر :

لا بوركت تلك الأكف فإنها	ضربت على الألباب سداً عاتيا
حجبت صديع[٢٧٠] الرشد عنها فارتمت	تجتاب ليل الغي أسفع داجيا
بعثوا الصحائف يلتوين كأنما	بعثوا بهن عقارباً وأفاعيـاً
صحف يزل الصدق عن صفحاتها	ويظل جد القول عنها نابيا
ليت الزلازل والصواعق في يدي	فأصبها للغافـلين قوافيـا
فنيت براكين القريض ولا أرى	ما شفني من جهل قومي فانيا
فلئن صمتُّ لأصمتن تجلدا	ولئن نطقت لأنطقن تشاكيا[٢٧١]

(٢٦٩) « الصحافة والأقلام المسمومة » ص (١٦٧ ــ ١٦٨) بتصرف .

(٢٧٠) الصديع : الصبح .

(٢٧١) « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » (١ / ٢٢٠) .

موقف الإسلام من دعاة تحرير المرأة

إذا كان حال هؤلاء الدعاة والداعيات كما تقدم، وولاؤهم لأعداء الإسلام كما وصفنا، فهل يحتاج الأمر منا إلى كثير تدبر فيما ينبغي أن يكون عليه موقف كل مسلمة ومسلم من دعوتهم الأثيمة ؟

أليس هؤلاء ممن قال تعالى فيهم : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة** ﴾ النور (١٩)، وإذا كان القوم أشربت قلوبهم حب الكافرين، وأولعوا بما هم عليه من الضلال المبين، فأين أنت أيتها المسلمة من قوله تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه** ﴾ آل عمران (٢٨).

وقوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ المجادلة (٢٢).

وقوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين** ﴾ آل عمران (١٤٩).

وقوله تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ الأنعام (١٢١).

وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ المائدة (٥١)، قال حذيفة رضي الله عنه : « ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر لهذه الآية : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ المائدة

(٥٤)، قال علي رضي الله عنه : « أذلة على المؤمنين » أهل رقة على أهل دينهم « أعزة على الكافرين » أهل غلظة على من خالفهم في دينهم، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء** ﴾ المائدة (٥٧)، وقال تعالى : ﴿ **ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون** ﴾ المائدة (٨٠)، وقال تعالى : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار** ﴾ **هود** (١١٣)، قال ابن عباس (ولا تركنوا) : ولا تميلوا، قال بعض المفسرين في الآية : (فالنهي متناول للانحطاط في هوتهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضي بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم، ومد العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم، والركون : هو الميل اليسير) اهـ .

وقال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ **الآية الممتحنة** (١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « من أحب في الله، وأبغض في الله، وعادى في الله، ووالى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك »، وقال تعالى : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾ **الأنفال** (٧٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ذر : « يا أبا ذر أيُّ عرى الإيمان أوثق ؟ قال : « الله ورسوله أعلم »، قال : « الموالاة في الله، والحب في الله، والبغض في الله »[٢٧٢]، وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان »[٢٧٣]، وقال ﷺ : « المرء مع من أحب »[٢٧٤]، وقال ﷺ : « ولا يحب رجل قوماً إلا جاء

(٢٧٢) حسن بشواهده، إنظر تحقيق (شرح السنة) للبغوي (١٣ / ٥٣ ــ ٥٤).
(٢٧٣) جزء من حديث أخرجه أبو داود، وحسنه الأرناؤوط (شرح السنة ١٣ / ٥٤).
(٢٧٤) متفق عليه.

معهم »[٢٧٥] .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا تلاوة سورة الفاتحة في اليوم والليلة سبع عشرة مرة، في كل مرة ندعو الله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ ثم يبين سبحانه صفة هذا الصراط بقوله : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ وهم اليهود ﴿ **ولا الضالين** ﴾ **الفاتحة** (٧) وهم النصارى ــ فما ذاك إلا لأنه لا يمكن للمسلم أن يستقيم إلا إذا خالف أصحاب الجحيم، وتميز عن هديهم وطريقهم ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله** ﴾ **الأنعام** (١٥٣) .

كيف إذن نصدق هؤلاء الأفاكين، وننقاد لأولئك المغررين من أعداء ديننا وأمتنا، الذين يخبرنا سبحانه عما في قلوبهم بقوله : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ آل عمران (١١٨) .

فيا أيتها الأخت المسلمة :

إن أيديهم الماكرة الخبيثة الخادعة قد امتدت إليك في هذه الفتنة لتنزلك من علياء كرامتك، وتهبط بك من سماء مجدك، وتخرجك من دار سعدك، فاقطعيها بسرعة وبقوة فإنها يد مجرمة ظالمة، واهتفي بما هتفت به من قبل « عائشة التيمورية »[٢٧٦] :

بيد العفاف أصون عز حجابي ... وبعصمتي أعلو على أترابي
وبفكرة وقَّادة وقريحة ... نقادة قد كملت آدابي
ما ضرني أدبي وحسن تعلمي ... إلا بكوني زهرة الألباب
ما عاقني خجلي عن العليا ولا ... سدْلُ الخمار بلمتي ونقابي[٢٧٧]

---

(٢٧٥) قطعة من حديث أخرجه البغوي في « شرح السنة » (١٣ / ٦٤).

(٢٧٦) هي الأديبة الألمعية شقيقة أحمد تيمور باشا (ت ١٩٠٢م).

(٢٧٧) (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) لزينب بنت يوسف فواز العاملي ص (٣٠٩).

قولي كما قالت أختك من قبل :

أيها القوم أصلحوا أنفسكم خاب من رام السفور اليوم خابا
بُرْقُعِي وَسْطَ مُحيطي شرفي لم أحِدْ عنه ولو ذقت العذابا

واحذري من الذين :

قالوا ارفعي عنكِ الحجابا أوَ ما كفاك به احتجابا
واستقبلي عهد السفو ر اليوم وَاطَّرِحي النقابا
عهد الحجاب لقد تبا عد يومه عنا وغابا

ألقميهم الحجارة وأخرسيهم قائلة :

فأجبتهم والضحك ملء فمي ولم أعدم جوابا
مهلاً فما هذا الذي قد غركم إلا سرابا
أولا ترون الغرب كيـ ـف غدا الرجال به ذئابا
أولا ترون عري الأ خلاق تنشعب انشعابا
كم نظرة للوجه تو رث في الحشا جمراً مذابا
إن ترغبوا لنسائكم صَوْناً وعيشاً مستطابا
فدعوا السفور لأهله وارخوا عليهن النقابا[٢٧٨] .

(٢٧٨) (فقه النظر في الإسلام) لمحمد أديب كلكل ص (١٤٣) .
(٢٧٩) ، (٢٨٠) ... ...

السفور مَطِيَّةُ الفجور

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول : ياأيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا ، وداعٍ يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويْحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تَلِجْه ، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم »(٢٨١) .

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قيل له . (في يوم واحدٍ تركت بنو إسرائيل دينهم ؟) قال : (لا ، ولكنهم كانوا إذا أُمِروا بشيء تركوه ، وإذا نُهوا عن شيء ركبوه ، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه)(٢٨٢) .

ومعلوم أن المعاصي تزرع أمثالها ، ويولد بعضها بعضاً ، حتى يعز على العبد مفارقتها ، والخروج منها ، فكلما فرط من العبد معصية ، قالت أخرى إلى جانبها : (اعملني أيضاً) ، فإذا عملها ، قالت الثالثة كذلك ، وهلم جرًّا حتى تصير المعاصي هيئات راسخة ، وصفات لازمة ، وملكات ثابتة ، بحيث لو عطل المسيء سيئاته لضاقت عليه نفسه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وأحس من نفسه أنه كالحوت إذا فارق الماء ، حتى يعاودها فتسكن نفسه ، وتقر عينه ، ولا يزال المسكين يألف المعاصي حتى ينسلخ من قلبه استقباحها ، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ، بل يحبها حتى يرسل الله عليه الشياطين تؤزه إليها أزًّا ، فيكونون أعواناً عليه .

---

(٢٨١) رواه الإمام أحمد في مسنده عن النواس بن سمعان ، وأخرجه الترمذي والنسائي ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، قال الألباني : « وهو كما قالا » (صحيح الجامع رقم ٣٧٨٢) .

(٢٨٢) رواه عن حذيفة رضي الله عنه أبو نعيم في الحلية .

وقال شيخ من أهل الشام : (من أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولاً ، لم ينج آخراً ، وإن كان جاهداً)[٢٨٣] .

وفي بعض الآثار :

(إذا استشرفت للفتن استشرفت لك) ، ومن هنا قال أبو السعود في « مراقي السعود » :

سد الذرائع إلى المحرَم   حَتْمٌ كفتحها إلى المنحتمِ

إن الذي يسمح لقدمه أن تنزلق خطوة واحدة في أول الطريق ، لا يدري إلى أين تسوقه قدماه ، وإلى أين ينتهي به المسير ، لذا كان علينا أن نضع للأشياء حدوداً لا نسمح لأنفسنا بتخطيها .

سُنه إبليسية :

(لقد نهج دعاة التحرير نفس منهج إمامهم الأول إبليس لعنه الله ، إذ ما كان من إبليس إلا أن زيف للأبوين الحقيقة ، وألبس الحق لباس الباطل ، والباطل لِبَاس الحق ، لم يأت الشيطان ليقول للإنسان : كل من الشجرة المحرمة كي يغضب الله عليك ، ويطردك من جنته ، وينزلك إلى دار الشقاء ، بل قال له : إن في الأكل من الشجرة سعادتك وهناءك وخيرك ، وقال له : إن أنت أكلت من الشجرة حصلت على الملك العظيم والحياة الخالدة ، وتحولت إلى ملك غير قابل للفناء .

وزيادة في الإضلال وإمعاناً في التغرير بآدم أقسم له ولزوجه أنه صادق فيما يقول ، وأنه ناصح لهما ، يقدم لهما الخير ، ويدلهما على الطريق الحق ﴿ **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ طه (١٢٠) ، ﴿ **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما**

---

(٢٨٣) (ذم الهوى) لابن الجوزي .

إني لكما لمن الناصحين ﴾ وما النتيجة ؟ ﴿ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ الأعراف (٢٠ : ٢٢) . ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ الأعراف[٢٨٤] .

وهكذا تذرع الشيطان إلى الفجور الذي نراه اليوم ، ونعاني ويلاته بالسفور كخطوة أولى ، يستنزل بها المرأة المسلمة من عليائها وعفتها ، وما كان للمسلمة أن تطيعه أبداً إذا دعاها صراحة وهي في قمة الاحتجاب والتعفف إلى ما نراه الآن مثلاً على شواطي البحار ، وفي دور الخيالة ، لكن الخبيث تدرَّج معها ابتداءً بأن السفور (كشف الوجه) جائز شرعاً ، وانتهاءً بأن خير الهدي هدي أوربا وأمريكا .

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في معرض كلامه عن أثر كشف المرأة وجهها في وقوع الافتتان بها : (.. ولهذا أُمِر النساء بستر وجوههن عن الرجال ، فإن ظهور الوجه يُسْفِر عن كمال المحاسن فيقع الافتتان)[٢٨٥] اهـ .

جاء في ترجمة عبيد بن عمير المكي من « ثقات العجلي » قال : (كانت امرأة جميلة بمكة كان لها زوج فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها : أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يفتن به ؟ قال : نعم ، فقالت : من ؟ قال : عبيد بن عمير ، قالت فأذن لي فلأفتننه ! قال : قد أذنت لك ، فأتته فاستفتته ، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام ، قالت : فأسفرت عن مثل فلقة القمر ، فقال لها : « يا أمة الله اتقي الله »)[٢٨٦] .

ومن قبل قال (بعض) أهل الأهواء في تصوير فتنة السفور أو الحجاب « النصفي » :

---

(٢٨٤) (المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم) للدكتور عمر سليمان الأشقر ص (١٧ ــ ١٨) بتصرف.
(٢٨٥) (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) ص (٦٧)..
(٢٨٦) (حجاب المرأة المسلمة) للألباني هامش ص (٥٣).

قل للميلحة في الخمار المذهب أذهبتِ دينَ أخَ التُّقى المُتَعَبِّدِ
نور الخمار ونور وجهك ساطع عجباً لوجهكِ كيف لم يتَوَقَّدِ

تمسك المصريين بالحجاب :

لقد بلغ تمسك المسلمين في مصر بالحجاب مبلغاً عظيماً إلى حدٍّ دفع الشاعر (حافظ إبراهيم) يعبر عن عجز المتفرنجين عن إزاحة النقاب عن وجه المرأة المسلمة، ويأسهِ هو نفسه من استجابة الشعب لتلك النعرة بقوله (وبئس ما قال) :

فلو خطرت في مصر حواء أمنا يلـوح محياها لنـا ونراقبـه
وفي يدها : العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفها موسى وعـيسى وأحمد وجيش من الأملاك ماجت مواكبه
وقالوا لنا : رفع النقاب محلل لقلنا لهم : حَقٌ، ولكن نجانبه[٢٨٧]

مع أن (حافظاً) هو نفسه القائل :

الأم مدرسة إذا أعـددتها أعددت شعباً طيب الأعـراقِ
أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً بين الرجال يَجُلْنَ في الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع يحذرن رقبتـه ولا من واقي
يفعلـن أفعـال الرجـال لواهيـاً عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهـن شؤونهن كثيرة كشئون ربِّ السيف والمزراق[٢٨٨]

سياسة « تكسير الموجة »

ولما كان تمسك المسلمين بالحجاب أصلاً من أصول نظامهم الاجتماعي، نهج أعداء المرأة المسلمة سياسة تكسير الموجة شيئاً فشيئاً وهي سياسة استعمارية

---

(٢٨٧) جريدة الأهرام (٥ / ٩ / ١٩٨٢م)

(٢٨٨) المزراق : الرمح.

معروفة[٢٨٩] فكانت الخطوة الأولى إبراز فكرة جديدة كنقطة انطلاق يتبعها ما وراءها، وتضفي عليها الصبغة الدينية الشرعية حتى لا تصدم شعور العامة، ويكون التذرع بالدين وفتح باب الاجتهاد سبيلاً إلى قبولها، ولابد في ذلك من استدراج بعض الشيوخ والعلماء لكي يدلوا بدلوهم في القضية، باعتبار أنها خلاف فقهي فيه راجح ومرجوح، ومن هنا تبدأ القابلية للتردد وزلزلة الأفكار، أجل ! لابد أن يبدأ الزحف بصحبة الشيوخ الذين تقدسهم العامة، والذين يستغلون في البداية كأسلحة مؤقتة، ولا بأس أيضاً بالتنقيب في الاسفار والبحث هنا وهناك عن عبارات وفتاوى مبتورة تبرر الانحراف عن الشريعة، ثم بعد ذلك، وبعد تمكن الفكرة الجديدة من القلوب وشن الحملات على مايخالفها من الأوضاع الاجتماعية السائدة يبدأ الانخلاع من الدين شيئاً فشيئاً لتختفي النبرة الإسلامية حيناً ثم تأتي مرحلة الهدم والضرب العشوائي الذي يحطم كل شيء.

لقد بدأت حركة « تحرير المرأة » على أيدى المتفرنجين، فقلدهم بعض الخطباء الجهلة، والكتاب الفسقة، ونشبت المعركة أول ما نشبت حول (كشف وجه المرأة) أي السفور، وأقام العلماء الناصحون الدنيا وأقعدوها ليحبطوا تلك الدعوة إلى السفور لا لأنه الحكم الراجح في المسألة فحسب، ولكن لأنهم فطنوا لحقيقة الخطة المدمرة التي تستهدف القضاء على المرأة المسلمة وتحطيم كيانها، لقد نادوا بتخليص المرأة من الحجاب ولزوم البيت، والخضوع للآباء، والخنوع للأزواج، والبعد عن الحياة الاجتماعية والسياسية، وواتت هذه الحركة فرصة وجود الأمة المسلمة مستعبدة للأجنبي الكافر، مستعمرة له، ترزح تحت نيرانه، وتئن تحت كلكله، تتوجب لما يصب عليها من جام غضبه، وما يسومها من سوء عذابه، فنسبوا ــ مكراً وخديعة ــ كل ما حلَّ بالأمة

---

(٢٨٩) أنظر : (الاتجاهات الوطنية) (٢ / ٢٤٥ ــ ٢٤٦)، و (من أصداء الدين في الشعر المصري الحديث) للدكتور سعد الدين محمد الجيزاوي (١ / ٣٢٢).

المسلمة من تأخر وضعف وهون ودون إلى حجاب المرأة وعفتها وحيائها، وبعدها عن التعليم العقيم، والسياسة الفاجرة، والحياة الاجتماعية الفاسدة.

وانخدع كثير من النساء وأوليائهن بتلك الدعاوى المعسولة المسمومة، وأخذت الفتاة المسلمة تتمرد على الحجاب، وتحاول التخلص منه، فبدأت لأول مرة بإلقاء البرقع الذي كان على وجهها، ونزع النقاب من الوجه كذلك، فظهرت الوجوه ما يحجبها برقع، ولا يغطيها نقاب ــ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كانت خطوة جريئة من المرأة يومذاك، صفق لها دعاة السفور، وعباد الشهوات، ورواد الفجور.

سُنَّةٌ سيِّئةٌ :

ثم كان أن خطا الناس إلى أبعد مما نادى به « قاسم أمين »، فقد زعم أنه إنما يدعو إلى الوقوف بالحجاب عندما أمر الله به، ولم يدع قط إلى كشف العورات كالأذرع والسوق وغيرها، ولم يدع صراحة إلى الاختلاط بالرجال ومراقصتهم، كلا ولا دعا إلى شيء مما نراه الآن من انحطاط وتهتك، ولكن قاسم أمين ــ وإن لم يدع إلى شيء من ذلك صراحة ــ هو الذي فتح الباب لهذه الدعوات، وهو الذي سن تلك السنة القبيحة سنةَ السفور، لتكون ذريعة إلى ما تلاها من فساد، وهو الذي خطا بالمرأة المسلمة في طريق يعلم كل عاقل أن الناس لابد أن يسيروا فيه من بعده خطوات وخطوات ..، ويعلم كل مدرك واعٍ أن الخلف بين المسلمين وبين الغربيين في هذه القضية خاصة مما لا يرجى معه اتفاق إلا بفناء أحد المذهبين في الآخر تماماً، وبلا قيود، وبلا حدٍّ وسط.

« ومعظم النار من مستصغر الشرر » :

أخذت الأمور تتطور سريعاً حتى استنفدت دعوة « قاسم أمين » ــ في وقت وجيز ــ كل أغراضها ، وسارت الحال على سنة التدرج المعروفة ، واندفع الناس إلى ما وراء السفور في سرعة غير منتظرة ، فقد بدأت الفتنة العظمى بأن خلعت المرأة النقاب ، وخلعت معه ما هو أغلى منه وأثمن ألا وهو ثوب الحياء الذي طالما صان وجهها أن يكون معروضاً مبذولاً لكل من شاء أن يراه من أجنبي أو فاسق أو كافر ، ثم استبدلت المرأة المعطف الأسود بالحَبَرة[٢٩٠] ، وماهي إلا فترة من الزمن حتى امتدت يد التحرر إلى الخمار الذي كان لا يزال يستر شعر الرأس ، وبدا ــ لأول مرة ــ شعر المسلمة مكشوفاً لا شيء عليه يستره عن أعين الناس من أجانب وأقارب ، وبذلك شُلَّ جسم الحياء في المرأة ، ولم يعد قادراً على منعها من أن تحدث ، وتجالس ، أو تصافح ، وتضاحك من شاءت من الرجال عامة ، وأصدقاء وأقارب الزوج خاصة ، وإن بعدوا أو سفلوا .

وتأتي بعد ذلك الخطوة الأكثر جرأة إذ تعمد المرأة إلى ملاءتها أو عباءتها أو معطفها ، فتلفها كالثوب الخلق ، وترمي بها بعيداً عن ساحة الحياة ، وتخرج المرأة المسلمة لأول مرة في تاريخ إسلامها في درع سابغ مزين بالألوان المزخرفة ، تحته غلالة لطيفة ، وما فوقه شيء ...

ثم إذا بالمقص يتحيف هذه الثياب في الذيول والأكمام وفي الجيوب[٢٩١] ، ولم يزل يجور عليها ، فضيَّقها على صاحبتها حتى أُصبحت كبعض جلدها ، ثم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطىء البحر في المصايف بما لايكاد يستر شيئاً ، ولم تعد

---

(٢٩٠) الحبرة : بفتحتين ــ إزار كانت المرأة تلتحف به إذا برزت للطريق ، وقد كان يتخذ من قماش أسود ، ويتكون من قطعتين ، تدور إحداهما حول الخصر ، وتنسدل إلى أن تغطي الساقين ، وتنزل الأخرى من فوق الرأس فتغطي الصدروالكتفين ، وتنتهي إلى ما دون الخصر ، وقد إختفى هذا الزى آلان .

(٢٩١) الجيب : فتحة إدخال الرأس .

عصمة النساء في أيدي أزواجهن، ولكنها أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس وغيرها من اليهود ومشيعي الفجور.

وقطعت المرأة مراحل التعليم المختلفة، واقتحمت الجامعة، مخالطة للرجال في الطرقات والمواصلات والمدرجات، مزاحمة فيما يلائمها وفيما لا يلائمها من ثقافات وصناعات، وشاركت في وظائف الحكومة، ثم لم تقف مطالبها عند حد في الجري وراء ما سماه أنصارها « حقوق المرأة » أو « مساواتها بالرجل »، وكأنما كان عبثاً أن خلق الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى، وأقام كلاً منهما فيما أراد بحكمته جل وعلا، وامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات، وحطم النساء الحواجز التي كانت تقوم بينهن وبين الرجال في المسارح، وفي الترام، وفي كل مكان، فاختفت المقاعد التي جرت العادة بتخصيصها للسيدات، بعد أن أصبحن لا يستحيين من مشاركة الرجال.

تتابعت هذه التطورات في سرعة مذهلة، ولم تدع فرصة للمعارضة، وأعان على اندفاعها جو الثورة التي تلت الحرب، وما كان يوحي به من جرأة، ومن تمرد على كل قديم، وقد ظهرت طلائع ذلك في مظاهرة النساء المشهورة في مارس سنة ١٩١٩، التي طافت بشوارع القاهرة هاتفة بالحرية، في طريقها إلى دار المعتمد البريطاني، لتقدم إليه احتجاجاً مكتوباً على تعسف سلطات الاحتلال، وقد كان عدد المتظاهرات يربو على الثلاثمائة، وعلى رأسهن (صفية زغلول)، و (هدى شعراوي)[٢٩٢]، وهذه المظاهرة هي التي قال فيها (حافظ إبراهيم)، يصف تعرض الجيش البريطاني لها متهكماً[٢٩٣]:

---

(٢٩٢) ومن النساء اللاتي اشتركن في تلك المظاهرة كزعيمات (حرم حنا مسيحة، حرم د. نجيب إسكندر، حرم إسكندر مسيحة، الآنسة جولييت صليب، رفائيل بغدادي، حرم ويصا واصف، الآنسة ماري ميرهم، حرم صليب منقريوس، حرم ميخائيل لبيب)، وحرم قاسم أمين.

(٢٩٣) ديوان حافظ إبراهيم (٢ / ٨٧).

خرج الغواني يحتججن ... ورحت أرقب جمعهنَّه

فإذا بهن تَخِذْنَ من ... سود الثياب شعارهنّه

وظللن مثل كواكبٍ ... يسطعن في وسط الدُّجُنَّه

وأخذن يجتزن الطريـ ... ـق ودار سعد قصدهنّه

يمشين في كنف الوقار ... وقد أبنَّ شعورَهنّه

وإذا بجيش مقبل ... والخيل مطلقة الأعنّه

وإذا الجنود سيوفها ... قد صوبت لنحورهنّه

وإذا المدافع والبنا ... دق والصوارم والأسنّه

والخيل والفرسان قد ... ضربت نطاقاً حولهنّه

والورد والريحان في ... ذاك النهار سلاحهنّه

فتطاحن الجيشان سا ... عات تشيب لها الأجنّه

فتضعضع النسوان والـ ... ـنسوان ليس لهن مُنَّه(*)

ثم انهزمن مشتتا ... ت الشمل نحو قصورهنّه

فليهنأ الجيش الفخو ... ر بنصره وبكسرهنّه

فكأنما الألمان قد ... لبسوا البراقع بينهنّه

وأتوا (بهندنبرج)[٢٩٤] مخ ... تفياً بمصر يقودهنّه

فلذاك خافوا بأسهـ ... ـن وأشفقوا من كيدهنّه

وتجرأت المرأة منذ ذلك الوقت على المشاركة في القضايا الوطنية[٢٩٥]، وفي مختلف

(*) مُنَّة : أي قوة .

(٢٩٤) هو رئيس الجمهورية الألمانية وقائد جيشها ، انظر : « الموسوعة العربية الميسرة » ص(١٩٠٥) .

(٢٩٥) من ذلك ما حدث يوم الجمعة ١٢ ديسمبر من نفس العام حيث (سبقت حفنة من سيدات مصر جمع الهيئات الوطنية إلى الاحتجاج ـ ضد لجنة ملنر ـ على شكل مؤتمر وطني في دار الكنيسة المرقسية بالقاهرة) اهـ عن (المرأة المصرية) لدرية شفيق ص(١٢٦) .

الميادين الاجتماعية، فتألفت لجنة مركزية للسيدات الوفديات، شاركت مشاركة فعالة في جركة المقاطعة الاقتصادية سنة (١٩٢٢)، وتزعمت « صفية زغلول » حرم زعيم الثورة الأول وكريمة مصطفى فهمي باشا هذه الحركة الأولى، التي طفرت بالمرأة إلى وضع لم يحلم « قاسم أمين » أن تبلغه في مثل هذه المدة الوجيزة وبهذه السهولة، وغفلت عين المعارضين من المحافظين عن هذه الخطوات الجريئة التي أضفى عليها جو الثورة لوناً من النبل حفظها من أن تهاجم أو تمس.

ثم تنبه المعارضون، فإذا المرأة ماضية قدماً في استئناف الطريق التي وضعت قدمها على أوله باشتراكها في ثورة (١٩١٩)، فأخذت تؤسس الجماعات، وتقيم الحفلات، وتعقد الندوات والمحاضرات، وتزعمت هذه الحركة النسوية « هدى شعراوي »، وتجرأت هذه المتزعمة على ما لم تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل، فسافرت إلى باريس وإلى أمريكا لدراسة شئون المرأة، وأخذت تلقي بالتصريحات والأحاديث لمندوبي الصحف، وجزع المحافظون لما صحب هذه الحركة من ميل إلى التبرج، ومن نزوع إلى التحرر والانطلاق، وأنكروا مارأوا من تغير حال المرأة، ومن جرأتها على التقاليد، وتمردها على سلطة الأب والزوج، وراحوا يتابعون في ذهول تطور الزي، وتقلص الثوب فوق جسدها في سرعة تجاوزت كل مايتخيلون من حدود.

يقول عبد المطلب ناعياً على النساء تقصير الثياب والتبرج[٢٩٦]:

ما في بنات النيل من أرب لذي غرض نبيل
أصبحن عاباً في الزمان وسوأة في شر جيل
ما هذه الحبرات تهفو في الخمائل والحقول

---

(٢٩٦) [ديوان عبد المطلب (ص١٨٤ — ١٨٨) وليت شعري ماذا كان عساه قائلاً لو رأى أزياء المرأة اليوم، فقد يبدو أن أشد أنصار الحشمة تطرفا، لا يكاد يطمع في أن يُعيد المرأة إلى مثل هذا الزي الذي يشكو منه الشاعر] من تعليق الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله (الاتجاهات الوطنية ٢/٢٤٠).

نكــر العفـــاف ذيـــولها ومــن الخنــى قصر الذيــول
إن ينتسبــن إلى الحجـــا ب فإنـــه نسب الدخيـــل
يختلـــن أبنـــاء الهوى بالـــدل والنظـــر الختـــول
من كل خائنـــة الحليــــ ـل تهيم في طلب الخليـــل
ما لابنـــة الخدر المصو ن وربـــة المجد الأثيـــل
أودى شفيـــف نقـــابها بكرامـــة الأم البتـــول[٢٩٧]
وعـــلا رنين حجـــولها أسفـــاً على الذيـل الطويـل
فإذا مشت هتك النقـــا ب محاسن الوجـه الجميـل
ولقـــد ينـــم عبيرهـــا فتـــحسه من نحو ميـــل
ترتـــادُ خائنـــةُ العيـــو ن بلحـــظ فاتِنـــةٍ قَتُـــول
يا هَلْ دَرَى (ذاك) الغيو رُ بما جَرَى !؟ ويح الجهول[٢٩٨]
أهـــي التـــي فرض الحجـا بَ لصونها شرعُ الـــرسول ؟
جُعِـــلَ الحجـابُ مُعَاذَهـــا من ذلك الـــداءِ الوبيـــل
يا مُنْـــزِلَ القـــرآنِ، نو راً للبصائـــر والعقـــولِ !
عَمِـــيَتْ بصائـــرُ أهـــل وا دي النيلِ عن وَضَح السبيل
ذَهِلـــوا عن الأعـــراض، لو يدرون عاقبـــة الذهـــول !

كان تيار السفور والتبرج جارفاً، لم تستطع صيحات المحافظينْ أن تقف في وجهه، بل لم تستطع أن تقلل من حدته، أو تخفف من سرعته، ولكن ذلك لم يكن ليثنيهم عن التنبيه والتحذير على كل حال ...

---

(٢٩٧) الشاعر هنا لا يشكو من نزع النقاب، ولكنه يشكو من رقته التي تشف عما تحته ؟!

(٢٩٨) لعله يُعرِّض بـ « قاسم أمين » .

صيحة نذير :

وهذا هو (شكيب أرسلان)[٢٩٩] ينشر مقالاً عن « السفور والحجاب »[٣٠٠]، يحاول أن يقدم للناس درساً يستنبط فيه العظة من تطورات السفور في تركيا، فيعرض للمراحل التي مر بها، ليبين أن الدعوة إلى نزع الحجاب هي مرحلة تهييء لما يليها من الدعوات التي ترمي إلى هدم أحكام الإسلام، فيقول فيما يقول :

(عند إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ قال « أحمد رضا » بك من زعماء أحرار الترك :« مادام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علناً مع المرأة التركية على جسر غَلَطة[٣٠١] وهي سافرة الوجه، فلا أعد في تركيا دستوراً ولا حرية »، فكانت هذه المرحلة الأولى، وفي هذه الأيام بلغني أن أحد مبعوثي مجلس أنقرة، الكاتب « رفقى بك »، الذي كان كاتباً عند « جمال باشا » في سورية، كتب : « إنه مادامت الفتاة التركية لا تقدر أن تتزوج بمن شاءت ولو كان من غير المسلمين[٣٠٢]، بل

---

(٢٩٩) ولد « شكيب أرسلان » في بلدة الشويفات من مقاطعة « الشوف » التي تبعد من بيروت قرابة عشرة أميال، ومعنى « شكيب » بالفارسية : الصابر، ومعنى « أرسلان » بالفارسية والتركية : الأسد، وهو من طائفة (الدروز) اللبنانية وهم (إسماعيلية فاطمية)، وقد ذكر الشيخ الشرباصي أن الأمير شكيباً كان سنياً، وإن انتسب سياسياً أو إدارياً إلى الدروز، وأنه كان يتعبد على طريقة السنيين، فهو يصلي ويصوم ويحج كما يفعل جمهور المسلمين، قال : (وقد أكدت لي زوجته هذه الحقيقة، وقالت إن الدروز يحرمون الزواج من سنية، ولكن زوجي تزوجني وأنا سنية مسلمة، وقد تسبب هذا الوضع في متاعب لشكيب، فمن الدروز من لا يرونه درزياً كاملاً، ومن السنيين من لا يرونه سنيًّا كاملاً، فضاع جانب من حقه بين هؤلاء وهؤلاء) اهـ من (شكيب أرسلان) للشيخ أحمد الشرباصي، ص(٥١ ــ ٥٢) ويعكر على هذا ما هو معلوم من زواج (كمال جنبلاط) زعيم الدروز من (مى) ابنة شكيب، فالله أعلم بحقيقة أمره .

(٣٠٠) (المنار) عدد ٢٩ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ ــ ٢١ يولية ١٩٢٥م ص(٢٠٦ ــ ٢١٠) .

(٣٠١) كوبري جالتا أو بلتا جسر شهير في مركز مدينة استانبول، يربط بين قارتي آسيا وأوربة، ويصل بين شطري المدينة التي تمتد في القارتين .

(٣٠٢) وبالفعل نص القانون المدني التركي فيما بعد على إباحة زواج النصراني من المسلمة، انظر مجلة الرسالة العدد =

مادامت لا تعقد مقاولة مع رجل تعيش وإياه كما تريد، مسلماً كان، أو غير مسلم، فإنه لا يعد تركيا قد بلغت رقياً »، فهذه هي المرحلة الثانية)، ثم يقول « شكيب أرسلان » :

(فأنت ترى أن المسألة ليست منحصرة في السفور، ولا هي بمجرد حرية المرأة المسلمة في الذهاب والمجيء كيفما تشاء، بل هناك سلسلة طويلة حلقاتها، متصل بعضها ببعض، لابد من أن ينظر الإنسان إليها كلها من أولها إلى آخرها، فإذا كان ممن يرى حرية المرأة المطلقة، فعليه أن يقبلها بحذافيرها ... أما أن نجمع بين حرية المرأة وعدم حريتها، وأن نطلق لها الأمر تذهب حيث أرادت، وتحادث من أرادت، وتضاحك من أرادت، وتغامز من أرادت، ثم إذا صبا قلبها إلى رجل من غير جنسنا، فذهبت وساكنته، وكان بينها وبينه ما يكون بين الرجل وزوجته، أقمنا القيامة، ودعونا بالمسدس، وقلنا: ياللحمية، ياللأنفة، ياللغيرة على العرض ! فهذا لايكون ! وليس من العدل ولا من المنطق أن يكون) .

ثم يقول : (والنتيجة التي نريدها قد حصلت، وهي أن سلوكنا مسلك الأوربيين حذو القذة[٣٠٣] بالقذة في هذه المسألة، هذا له توابع ولوازم لابد أن نقبلها، ولا يبقى معها محل لكلمة : « أعوذ بالله » كلا ! لا يوجد هناك « أعوذ بالله » بل تلك مدنية، وهذه مدنية، تلك نظرية، وهذه نظرية، فعلينا أن نختار إحدى المدنيتين أو إحدى النظريتين، مهما استتبعت من الأمور التي كان يقال في مثلها عندنا : أعوذ بالله)اهـ .

وقد كان هذا الذي قاله « شكيب أرسلان » وتوقعه في سنة ١٩٢٥ صحيحاً

= ٨٠ تاريخ ٩ شوال ١٣٥٣هـ، ١٤ يناير ١٩٣٥م ص(٤٥) .

(٣٠٣) القذة : ريش السهم، والحذو : القطع والتقدير على مثال، أي كما تقدر كل واحدة منها على صاحبتها وتقطع .

تماماً، فلم تمض عليه ثلاث عشرة سنة حتى ارتفع صوت يقول تحت عنوان :

« بعد السفور »[٣٠٤] :

(إننا لم نخط بعد الخطوة الحاسمة في سبيل تطبيق روح الحضارة العصرية على عاداتنا وأخلاقنا وأساليب حياتنا، إن نساءنا العصريات المتعلمات اللواتي يطالعن الصحف، ويقرأن القصص، ويغشين المسارح ودور السينما ما يزال يحال بينهن وبين الظهور في المجتمعات البيتية أمام رجل غريب، فنحن قد سلمنا بمبدأ تعليم نسائنا، ولكنا لم نسلم بعد بقدرة هؤلاء النساء على الانتظام في حفل كبير يضم عدداً من أفراد الجنسين، ويتألف منه مجتمع مصري مختلط أشبه بالمجتمعات الأوربية التي نشهدها في مصر، ونحسد الأجانب عليها).

ويزعم الكاتب الكاثوليكي أن ذلك راجع إلى أن (ثقة الرجل المصري بالرجل المصري لاتزال معدومة)، ثم يقول: (وقد ترتب على ذلك أنك أصبحت ترى امرأة صديقك السافرة في الشارع وفي المحل التجاري وفي دار المسرح أو السينما، ثم لا تستطيع أن تراها في بيتها لتتفهم حقيقة شخصيتها، وتعرف كيف تعيش ؟ وكيف تشعر ؟ وكيف نفكر ؟ أصبحت تبصرها في الحياة العامة، وتعجب بها، ولكنك متى أردت تهذيب عواطفك ، وصقل إحساساتك ومشاعرك بالجلوس إليها، والتحدث معها وإشراكها في المسائل التي تشغل عقلك وعقل مواطنيك، حيل بينك وبينها، واتهمت بفساد النية وسوء القصد).

ثم يزعم الكاتب في مقاله أن (المجتمع المختلط هو الذي يقرب مسافة الخلف بين الجنسين، ويقيم علاقات الرجل والمرأة على قاعدة التفاهم الفكري العاطفي).

---

(٣٠٤) مقال في (الهلال) بعدد أول يناير ١٩٣٨ ــ ٢٩ شوال ١٣٥٦هـ ص(٢٦٨ ــ ٢٧٢) للصحافي الكاثوليكي إبراهيم المصري ــ انظر جريدة « أخبار اليوم » تاريخ ١٩٨٠/١٠/٣٠م ص(١١) .

ثم يدعو الكاتب المصريين لأن يطردوا من عقولهم: (الاعتقاد الشرقي الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلابد أن ينهض الشيطان بينهما، وينفث في نفسيهما سموم الرذيلة والشر[٣٠٥]، هذا هو سر تأخرنا، وهو بقايا عصور الجهل والخوف والظلام) اهـ كلامه.

شعر:

من عذيري من معشر هجروا العقل وحادوا عن طُرْقه المستقيمه
لا يرون الإنسان قد نال حظاً من صلاح حتى يكون بهيمه[٣٠٦].

وإذا كانت هذه أدنى ثمرات السفور فلننظر إلى أقصى ثمراته المريرة، لندرك الهدف الذي يدعو إليه (المتحررون): جاء في مجلة « صباح الخير » ما نصه:

(إن نظام الزواج في وطننا العربي هو نظام مضحك يدعو إلى السخرية: مهر وعقد .. مظاهر جوفاء تُقْتَلُ فيها الإرادة، وتقتل المشاعر الإنسانية)[٣٠٧] اهـ.

والآن يا أختي المسلمة:

هل أدركتِ مدى فطنة فقهائنا لما حرموا السفور سداً للذريعة ؟

وهل لك أن تسمعي هذه النصيحة من شيخ ناصح أمين[٣٠٨].

(إن بداية السفور والتبرج الجاهلي الذي عليه جل نساء المؤمنين اليوم في ديار المسلمين، إنما بدأ من كشف الوجه بإزالة البرقع والنقاب عنه حتى بات، وأصبح،

---

(٣٠٥) هذا من الكاتب النصراني زيادة في الكفر إذ إن الذي يشير إليه ليس اعتقاداً شرقياً ولكنه معنى حديث شريف عن سيد ولد آدم ﷺ.

(٣٠٦) من شعر الإمام (ابن دقيق العيد) رحمه الله، نقلاً عن « المجددون في الإسلام » ص(٢٧٠).

(٣٠٧) نقلاً من (محاضرات الجامعة الإسلامية) موسم عام (١٣٩٥ ـ ١٣٩٦هـ) ص(١٢٨).

(٣٠٨) هو فضيلة الداعية الإسلامي الكبير « أبو بكر جابر الجزائري » حفظه الله في رسالته: (إلى الفتاة السعودية والمسئولين عنها) ص(٢٦).

وأضحى، وظل، وأمسى من المعلوم بالضرورة: أن من كشفت من الفتيات عن وجهها اليوم ستكشف غداً حتماً عن رأسها وصدرها وساقيها، وحتى فخذيها، ولا يجادل في هذا، أو لا يسلمه إلا مغرور مخدوع، أو مضلِّل مُغَرر مخادع يعمل لحساب الماسونية العالمية التي جعلت من أهدافها القضاء على الإسلام عقيدة وبيتاً ومجتمعاً ودولة .. وبناء على هذا فإن اليد التي تحاول أن تحسر الحجاب عن وجه فتياتنا اليوم ينبغي الضرب عليها، وإن اللسان الذي يدعو فتاتنا إلى نزع الحجاب بإسقاط ملاءتها ينبغي أن يقطع)، ويقول فضيلته محذراً من المغُرِّرين[٣٠٩] : (إنهم اليوم لا يطلبون منك أكثر من كشف وجهكِ، وحجة أن كشف الوجه مختلف فيه بين أهل العلم في كونه الزينة التي يجب أن تخفيها المسلمة، أو من غير الزينة مما لا يجب عليها إخفاؤها .. غير أنهم يعلمون علم اليقين ــ بحكم التجارب الطويلة العديدة ــ أنك يوم تكشفين عن وجهك، ويذهب ماؤه وحياؤه ستكشفين لهم عما عدا ذلك)اهـ.

وصدق الشيخ سعيد الجابي رحمه الله إذ قال:

رفع النقاب وسيلة إن حُبِّذت ضُمَّتْ إليها للفجور وسائـلُ
فالاختلاط فمرقص فتواعد فالاجتماع فخلوة فتواصل[٣١٠]

وصدق الشاعر (أحمد شوقي) حين قال:

صداحُ يا ملكَ الكَنا رِ ويا أمير البلبلِ
إن طرتَ عن كنفي وقعـ ـت على النسور الجهلِ
حرصي عليك هوى ومن يحرز ثميناً يبخلِ[٣١١]

---

(٣٠٩) السابق ص(١٧ ــ ١٨).

(٣١٠) (فقه النظر في الإسلام) ص(٧٤).

(٣١١) (مهلاً يا صاحبة القوارير) ص(٢٩).

وقال آخـــر :

يا أخت سابغـــــــة البرا قع في الأباطـــح والوعــــور
قرى فديــــــتك حيث لا تؤذيك لافحـــــــة الهجير
ودعـي الجنـوح إلى السفــو ر وخففـــي ألم الـــعشير
النمر لو لزم الشرى[٣١٢] من كان يطمـع في النمور ؟
والـــطير تأخذهـــا شبـــا ك الصيـد في ترك الوكـور[٣١٣]

عِبْـــرة

والآن فلنتوقف ـــ إلى حين ـــ لنطالع هذه (العبرة) كما حكاها الكاتب الأديب (المنفلوطي) في مقالٍ له في مسألة الحجاب[٣١٤]، قال رحمه الله :

[ذهب فلان إلى أوربا وما ننكر من أمره شيئاً ، فلبث فيها بضع سنين ثم عاد وما بقي مما كنا نعرف منه شيء : ذهب بوجه كوجه العذراء ليلة عرسها ، وعاد بوجه كوجه الصخرة الملساء تحت الليلة الماطرة ، وذهب بقلب نقي طاهر يأنس بالعفو ويستريح إلى العذر ، وعاد بقلب ملفف مدخول لا يفارقه السخط على الأرض وساكنها وعلى السماء وخالقها ، وذهب بنفس غضة خاشعة ترى كل نفس فوقها ، وعاد بنفس ذهابة نزاعة لا ترى شيئاً فوقها ولا تلقي نظرة واحدة على ما تحتها ، وذهب بنفس مملوءة حكمة ورأياً ، وعاد برأس كرأس التمثال المثقب لا يملأه إلا الهواء المتردد ، وذهب وما على الأرض أحب إليه من دينه ووطنه ، وعاد وما على وجهها أصغر في عينيه منهما ، وكنت أرى أن هذه الصور الغريبة التي يتراءى بها هؤلاء الضعفاء من الفتيان العائدين

(٣١٢) الشرى : كعلى ، الجبل ، وطريق في سلمى كثيرة الأُسْد ، وجُبَيْل بتهامة كثيرة السباع ـــ انظر « القاموس المحيط » (٣٥٠/٤) .

(٣١٣) (فقه النظر في الإسلام) ص(١٨٨) .

(٣١٤) (العبرات) للمنفلوطي ص(٤٩) .

من تلك الديار إلى أوطانهم إنما هي أصباغ مفرغة على أجسامهم إفراغاً لاتلبث أن تطلع عليها شمس المشرق حتى تنصل وتتطاير ذراتها في أجواء السماء، وأن مكان المدنية من نفوسهم مكان الوجه من المرآة إذا إنحرف عنها زال خياله منها، فلم أشأ أن أفارق ذلك الصديق، فلبسته على علاته، وفاء بعهده السابق، ورجاء لغده المنتظر، متحملاً في سبيل ذلك من حمقه ووسواسه وفساد تصوراته وغرابة أطواره مالا طاقة لمثلي باحتمال مثله، حتى جاء في ذات ليلة بداهية الدواهي ومصيبة المصائب فكانت آخر عهدي به، دخلت عليه فرأيته واجماً مكتئباً، فحييته فأومأ إلى بالتحية إيماء، فسألته ما باله ؟ فقال : « مازلت منذ الليلة من هذه المرأة في عناء لا أعرف السبيل إلى الخلاص منه، ولا أدري مصير أمري فيه »، قلت : « وأي امرأة تريد ؟ » قال : « تلك التي يسميها الناس زوجتي، وأنا أسميها الصخرة العاتية في طريق مطالبي وآمالي »، قلت : « إنك كثير الآمال يا سيدي ففي أي آمالك تَحَدَّثُ ؟ » قال : « ليس لي في الحياة إلا أمل واحد وهو أن أغمض عيني، ثم أفتحها فلا أرى برقعاً على وجه امرأة في هذا البلد »، قلت : « ذلك ما لا تملكه، ولا رأى لك فيه »، قال : « إن كثيراً من الناس يرون في الحجاب رأيي، ويتمنون في أمره ما أتمنى، ولا يحول بين نزعه عن وجوه نسائهم وإبرازهن إلى الرجال يجالسنهم كما يجلس بعضهم إلى بعض إلا العجز والضعف والهيبة التي لا تزال تلم بنفس الشرقي كلما حاول الإقدام على أمر جديد، فرأيت أن أكون أول هادم لهذا البناء العادي[٣١٥] القديم الذي وقف سدًّا دون سعادة الأمة وارتقائها دهراً طويلاً ، وأن يتم على يدي ما لم يتم على يد أحد غيري من دعاة الحرية وأشياعها، فعرضت الأمر على زوجتي فأكبرته، وأعظمته وخُيِّل إليها أنني جئتها بإحدى النكبات العظام والرزايا الجسام، وَزَعَمَتْ أنها إن برزت للرجال فإنها لا تستطيع أن تبرز إلى النساء بعد ذلك حياءاً منهن وخجلاً، ولا خجل

---

(٣١٥) أي القديم. نسبة إلى عاد .

هناك ولا حياء ولكنه الموت والجمود والذل الذي ضربه الله على هؤلاء النساء في هذا البلد أن يعشن في قبور مظلمة من خدورهن وخمرهن حتى يأتيهن الموت فينقلهن من مقبرة الدنيا إلى مقبرة الآخرة، فلابد لي أن أبلغ أمنيتي وأن أعالج هذا الرأس القاسي المتحجر علاجاً ينتهي بإحدى الحسنيين إما بكسره وإما بشفائه »، فورد عَلَيَّ من حديثه ما ملأ نفسي هماً وحزناً، ونظرت إليه نظرة الراحم الرائى، وقلت: « أعالم أنت أيها الصديق ماتقول ؟ »، قال: « نعم ! أقول الحقيقة التي أعتقدها، وأدين نفسي بها واقعة من نفسك ونفوس الناس جميعاً حيث وقعت، قلت: « هل تأذن لي أن أقول لك إنك عشت فترة طويلة في ديار قوم لا حجاب بين رجالهن ونسائهم، فهل تذكر أن نفسك حدثتك يوماً من الأيام وأنت فيهم بالطمع في شيء مما لاتملك يمينك من أعراض نسائهم فنلت ما تطمع فيه من حيث لا يشعر مالكه ؟ »، قال: « ربما وقع لي شيء من ذلك، فماذا تريد ؟ »، قلت: « أريد أن أقول لك إني أخاف على عِرْضِكَ أن يُلِمَّ به من الناس ما ألم بأعراض الناس منك »، قال: « إن المرأة الشريفة تستطيع أن تعيش بين الرجال وهي من شرفها وعفتها في حصن حصين لا تمتدُّ إليه المطامع »، فداخلني ما لم أملك نفسي معه، وقلت له، « تلك هي الخُدعة التي يخدعكم بها الشيطان أيها الضعفاء، والثلمة التي يعثر بها في زوايا رءوسكم فينحدر منها إلى عقولكم ومدارككم فيفسدها عليكم، فالشرف كلمة لا وجود لها إلا في قواميس اللغة ومعاجمها، فإن أردنا أن نفتش عنها في قلوب الناس وأفئدتهم قلما نجدها، والنفس الإنسانية كالغدير الراكد لا يزال صافياً رائقاً حتى يسقط فيه حجر فإذا هو مستنقع كدر، والعفة لون من ألوان النفس لا جوهر من جواهرها، وقلما تثبت الألوان على أشعة الشمس المتساقطة »، قال: « أتنكر وجود العفة بين الناس ؟ »، قلت: « لا أنكرها لأني أعلم أنها موجودة بين البله والضعفاء والمتكلفين، ولكنني أنكر وجودها عند الرجل القادر المختلب والمرأة الحاذقة المترفقة إذا

سقط بينهما الحجاب ، وخلا وجه كل منهما لصاحبه ، في أي جوٍّ من أجواء هذا البلد تريدون أن تبرز نساؤكم لرجالكم : أفي جَوِّ المتعلمين وفيهم من سئل مرة : « لِمَ لَمْ يتزوج ؟ » فأجاب : « نساء البلد جميعاً نسائي » ، أم في جوِّ الطلبة وفيهم من يتوارى عن أعين خلانه وأترابه حياءً وخجلاً إن خلت محفظته يوماً من الأيام من صور عشيقاته وخليلاته أو أقفرت من رسائل الحب والغرام ، أم في جَوِّ الرعاع والغوغاء وكثير منهم يدخل البيت خادماً ذليلاً ، ويخرج صهراً كريماً ؟ ، وبعد فما هذا الولع بقصة المرأة والتمطق[٣١٦] بحديثها والقيام والقعود بأمرها وأمر حجابها وسفورها وحريتها وأسرها ، كأنما قد قمتم بكل واجب للأمة عليكم في أنفسكم فلم يبق إلا أن تفيضوا من تلك النعم على غيركم ، هذبوا رجالكم قبل أن تهذبوا نساءكم ، فإن عجزتم عن الرجال فأنتم عن النساء أعجز ، أبواب الفخر أمامكم كثيرة فاطرقوا أيها شئتم ، ودعوا هذا الباب موصداً ، فإنكم إن فتحتموه فتحتم على أنفسكم ويلاً عظيماً وشقاءً طويلاً ، أروني رجلاً واحداً منكم يستطيع أن يزعم في نفسه أنه يمتلك هواه بين يدي امرأة يرضاها فأصدِّق أن امرأة تستطيع أن تملك هواها بين يدي رجل ترضاه ، إنكم تكلفون المرأة ما تعلمون أنكم تعجزون عنه ، وتطلبون عندها ما لا تعرفونه عند أنفسكم ، فأنتم تخاطرون بها في معركة الحياة مخاطرة لا تعلمون أتربحونها من بعدها أم تخسرونها ، وما أحسبكم إلا خاسرين ، ما شكت المرأة إليكم ظلماً ، ولا تقدمت إليكم في أن تحلوا قيدها وتطلقوها من أسرها ، فما دخولكم بينها وبين نفسها ، وما تمضغكم ليلكم ونهاركم بقصصها وأحاديثها ؟ ،

إنها لا تشكو إلا فضولكم وإسفافكم ومضايقتكم لها ووقوفكم في وجهها حيثما سارت وأينما حلت ، حتى ضاق بها وجه الفضاء فلم تجد لها سبيلاً إلا أن تسجن نفسها بنفسها في بيتها فوق ما سجنها أهلها ، فأوصدت من دونها بابها ، وأسبلت أستارها

---

(٣١٦) التمطق التصويت باللسان عند استطابة الطعام .

تبرماً بكم وفراراً من فضولكم، فواعجباً لكم تسجنونها بأيديكم ثم تقفون على باب سجنها تبكونها وتندبون شقاءها ! إنكم لا تَرْثون لها بل تَرْثُون لأنفسكم، ولا تبكون عليها بل على أيام قضيتموها في ديارٍ يسيل جوها تبرجاً وسفوراً، ويتدفق خلاعة واستهتاراً، وتودون بجدع الأنف لو ظفرتم هنا بذلك العيش الذي خلفتموه هناك، لقد كنا وكانت العفة في سقاء من الحجاب موكوء، فمازلتم به تثقبون في جوانبه كل يوم ثقباً، والعفة تسيل منه قطرة قطرة، حتى تقبض وتكرش، ثم لم يكفكم ذلك منه حتى جئتم اليوم تريدون أن تحلوا وكاءه حتى لا تبقى فيه قطرة واحدة، عاشت المرأة المصرية حقبة من دهرها هادئة مطمئنة في بيتها راضية عن نفسها وعن عيشها، ترى السعادة كل السعادة في واجب تؤديه لنفسها، أو وقفة تقفها بين يدي ربها، أو عطفة تعطفها على ولدها، أو جلسة تجلسها إلى جارتها تبثها ذات نفسها وتستبثها سريرة قلبها، وترى الشرف كل الشرف في خضوعها لأبيها وائتمارها بأمر زوجها ونزولها عند رضاهما، وكانت تفهم معنى الحب، وتجهل معنى الغرام، فتحب زوجها لأنه زوجها كما تحب ولدها لأنه ولدها، فإن رأى غيرها من النساء أن الحب أساس الزواج رأت هي أن الزواج أساس الحب، فقلتم لها : « إن هؤلاء الذين يستبدون بأمرك من أهلك ليسوا بأوفر منك عقلاً ولا أفضل رأياً ولا أقدر على النظر لك من النظر لنفسك، فلا حق لهم في هذا السلطان الذي يزعمونه لأنفسهم عليك »، فازدرت أباها، وتمردت على زوجها، وأصبح البيت الذي كان بالأمس عرساً من الأعراس الضاحكة مناحة قائمة لا تهدأ نارها، ولا يخبو أوارها، وقلتم لها : « لابد لك أن تختاري زوجك بنفسك حتى لا يخدعك أهلك عن سعادة مستقبلك »، فاختارت لنفسها أسوأ مما اختار لها أهلها، فلم يزد عمر سعادتها عن يوم وليلة ثم الشقاء الطويل بعد ذلك والعذاب الأليم، وقلتم لها : « إن الحب أساس الزواج »، فما زالت تقلب عينيها في وجوه الرجال مصعدة مصوبة حتى شغلها الحب عن الزواج فغنيت به عنه، وقلتم لها : « إن سعادة المرأة في

حياتها أن يكون زوجها عشيقها »، وما كانت تعرف إلا أن الزوج غير العشيق، فأصبحت تبغي كل يوم زوجاً جديداً يحيى من لوعة الحب ما أمات الزوج القديم، فلا قديماً استبقت، ولا جديداً أفادت، وقلتم لها « لابد أن تتعلمي لتحسني تربية ولدك، والقيام على شئون بيتك »، فتعلمت كل شيء إلا تربية ولدها والقيام على شئون بيتها، وقلتم لها: « نحن لا نتزوج من النساء إلا من نحبها ونرضاها ويلائم ذوقها ذوقنا وشعورها شعورنا »، فرأت أن لابد لها أن تعرف مواقع أهوائكم ومباهج أنظاركم لتتجمل لكم بما تحبون، فراجعت فهرس حياتكم صفحة صفحة فلم تر فيه غير أسماء الخليعات المستهترات والضاحكات اللاعبات والإعجاب بهن والثناء على ذكائهن وفطنتهن فتخلعت واستهترت لتبلغ رضاكم وتنزل عند محبتكم، ثم مشت إليكم بهذا الثوب الرقيق الشفاف تعرض نفسها عليكم عرضاً كما تعرض الأمة نفسها في سوق الرقيق فأعرضتم عنها، ونبوتم عنها، وقلتم لها: « إنا لا نتزوج النساء العاهرات »، كأنكم لا تبالون أن يكون النساء الأمة جميعاً ساقطات إذا سلمت لكم نساؤكم، فرجعت أدراجها خائبة منكسرة وقد أباها الخليع، وترفع عنها المحتشم، فلم تجد بين يديها غير باب السقوط فسقطت، كذلك انتشرت الريبة في نفوس الأمة جميعاً، وتمشت الظنون بين رجالها ونسائها فتعاجز الفريقان وأظلم الفضاء بينهما وأصبحت البيوت كالأديرة[٣١٧] لا يرى فيها الرائي إلا رجالاً مترهبين ونساء عانسات.

ذلك بكاؤكم على المرأة أيها الراحمون، وهذا رثاؤكم لها وعطفكم عليها، نحن نعلم كما تعلمون أن المرأة في حاجة إلى العلم، فليهذبها أبوها وأخوها، فالتهذيب أنفع لها من العلم[٣١٨] وإلى اختيار الزوج العادل الرحيم، فليحسن الآباء إختيار الأزواج لبناتهم وليجمل الأزواج عشرة نسائهم، وإلى النور والهواء تبرز إليهما وتتمتع فيهما برؤية الحياة

---

(٣١٧) الأديرة جمع دير.

(٣١٨) يعني علم ما لم يكن ضرورياً كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فيأذن لها أولياؤها بذلك وليرافقها رفيق منهم في غدواتها وروحاتها كما يرافق الشاة راعيها خوفاً عليها من الذئاب، فإن عجزنا أن نأخذ الآباء والإخوة والأزواج بذلك فلننفض أيدينا من الأمة جميعاً نسائها ورجالها فليست المرأة بأقدر على إصلاح نفسها من الرجل على إصلاحها.

أعجب ما أعجب له من شئونكم أنكم تعلمتم كل شيء إلا شيئاً واحداً هو أدنى إلى مدارككم أن تعلموه قبل كل شيء وهو أن لكل تربة نباتاً ينبت فيها، ولكل نبات زمناً ينمو فيه، رأيتم العلماء في أوربا يشتغلون بكماليات العلوم بين أمم قد فرغت من ضرورياتها فاشتغلتم بها مثلهم في أمة لا يزال سوادها الأعظم في حاجة إلى معرفة حروف الهجاء ... ورأيتم الرجل الأوربي حُراً مطلقاً يفعل ما يشاء، ويعيش كما يريد لأنه يستطيع أن يملك نفسه وخطواته في الساعة التي يعلم فيها أنه قد وصل إلى حدود الحرية التي رسمها لنفسه فلا يتخطاها، فرأيتم أن تمنحوا هذه الحرية نفسها رجلاً ضعيف الإرادة والعزيمة يعيش في حياته الأدبية في رأس منحدر زلق إن زلت به قدمه مرة تدهور من حيث لا يستطيع أن يستمسك حتى يبلغ الهوة ويتردَّى في قرارتها، ورأيتم الزوج الأوربي الذي أطفأت بيئته غيرته وزالت خشونة نفسه وحرشتها يستطيع أن يرى زوجته تخاصر من تشاء، وتصاحب من تشاء، وتخلو بمن تشاء فيقف أمام ذلك المشهد موقف الجامد المتبلد، فأردتم من الرجل الشرقي الغيور المتلهب أن يقف موقفه، ويستمسك استمساكه، ورأيتم المرأة الأوربية الجريئة المتفتية تستطيع في كثير من مواقفها مع الرجال أن تحتفظ بنفسها وكرامتها[*]، فأردتم من المرأة المصرية الضعيفة الساذجة أن تبرز للرجال بروزها وتحتفظ بنفسها احتفاظها، وكل نبات يزرع في أرض

(*) في هذه العبارة نظر، إذ ليست علة منع الاختلاط سذاجة المرأة وعدم جرأتها، بحيث يقال إذا زالت العلة زال المعلول، فيباح الاختلاط للمرأة الجريئة المتفتية، ويمنع للساذجة الضعيفة وهذا باطل، لمخالفته نصوص الشريعة، وقواعدها، وقد فصَّلت ذلك في «القسم الثالث» من هذا الكتاب، فانظره ص (٥١: ٦٠).

غير أرضه أو في ساعة غير ساعته إما أن تأباه الأرض فلتفظه، وإما أن يستنبت فيها فيفسدها.

إنا نضرع إليكم باسم ... الحرمة الدينية أن تتركوا تلك البقية من نساء الأمة آمنات مطمئنات في بيوتهن، ولا تزعجوهن بأحلامكم وآمالكم كما أزعجتم من قبلهن، فكل جرح من جروح الأمة له دواء إلا جرح الشرف، فإن أبيتم إلا أن تفعلوا فانظروا بأنفسكم قليلًا ريثما تنتزع الأيام من صدوركم هذه الغيرة التي ورثتموها عن آبائكم وأجدادكم لتستطيعوا أن تعيشوا في حياتكم سعداء آمنين ».

فما زاد الفتى أن ابتسم في وجهي ابتسامة الهزء والسخرية، وقال: « تلك حماقات ما جئنا إلا لنعالجها فلنصطبر عليها حتى يقضي الله بيننا وبينها »، وقلت له: « لك أمرك في نفسك وأهلك فاصنع بهما ما تشاء وائذن لي أن أقول لك إني لا أستطيع أن أختلف إلى بيتك بعد اليوم إبقاء عليك وعلى نفسي لأن الساعة التي ينفرج لي فها جانب ستر من أستار بيتك عن وجه امرأة من أهلك تقتلني حياءً وخجلاً، ثم انصرفت، وكان هذا فراق ما بيني وبينه.

وما هي إلا أيام قلائل حتى سمعت الناس يتحدثون أن فلاناً هتك الستر في منزله بين نسائه ورجاله، وأن بيته أصبح مغشياً لاتزال النعال خافقة ببابه، فذرفت عيني دمعة لا أعلم هل هي دمعة الغيرة على العرض المذال، أو الحزن على الصديق المفقود.

مرت علي تلك الحادثة ثلاثة أعوام لا أزوره، ولا يزورني، ولا ألقاه في طريقه إلا قليلاً، فأحييه تحية الغريب للغريب من حيث لا يجري لما كان بيننا ذكر، ثم أنطلق في سبيلي.

وإني لعائد إلى منزلي ليلة أمس ــ وقد مضى الشطر الأول من الليل ــ إذ رأيته خارجاً من منزله يمشي مشية الذاهل الحائر، وبجانبه جندي من جنود الشرطة كأنما هو

يحرسه أو يقتاده ، فأهمني أمره ، ودنوت منه فسألته عن شأنه ، فقال : « لا علم لي بشيء سوى أن هذا الجندي قد طرق الساعة بابي يدعوني إلى مخفر الشرطة ، ولا أعلم لمثل هذه الدعوة في مثل هذه الساعة سبباً ، وما أنا بالرجل المذنب ولا المريب ، فهل أستطيع أن أرجوك ياصديقي بعد الذي كان بيني وبينك أن تصحبني الليلة في وجهي علني أحتاج إلى بعض المعونة فيما قد يعرض لي هناك من الشئون ؟ » ، قلت : « لا أحبَّ إليّ من ذلك » ، ومشيت معه صامتاً لا أحدثه ، ولا يقول لي شيئاً ، ثم شعرت كأنه يزوِّر في نفسه كلاماً يريد أن يفضي به إليَّ فيمنعه الخجل والحياء ، ففاتحته الحديث ، وقلت له : « ألا تستطيع أن تذكر لهذه الدعوة سبباً ؟ » ، فنظر إليَّ نظرة حائرة ، وقال : « إن أخوف ما أخافه أن يكون قد حدث لزوجتي الليلة حادث ، فقد رابني من أمرها أنها لم تعد إلى المنزل حتى الساعة ، وما كان ذلك شأنها من قبل » ، قلت : « أما كان يصحبها أحد ؟ ، » قال : « لا » ، قلت : « ألا تعلم المكان الذي ذهبت إليه ؟ » ، قال : « لا » ، قلت : « وم تخاف عليها ؟ » ، قال : « لا أخاف شيئاً سوى أني أعلم أنها امرأة غيور حمقاء ، فلعل بعض الناس حاول العبث في طريقها فشرست عليه ، فوقعت بينهما واقعة انتهى أمرها إلى مخفر الشرطة » ، وكنا وصلنا إلى المخفر فاقتادنا الجندي إلى قاعة المأمور ، فوقفنا بين يديه ، فأشار إلى جندي أمامه إشارة لم نفهمها ، ثم استدني الفتى إليه ، وقال له : « يسوءني أن أقول لك يا سيدي إن رجال الشرطة قد عثروا الليلة في مكان من أمكنة الريبة برجل وامرأة في حال غير صالحة ، فاقتادوهما إلى المخفر ، فزعمت المرأة أن لها بك صلة ، فدعوناك لتكشف لنا الحقيقة في أمرها ، فإن كانت صادقة أذِنّا لها بالانصراف معك إكراماً لك وإبقاءً على شرفك ، وإلا فهي امرأة عاهرة لا نجاة لها من عقاب الفاجرات ، وها هما وراءك فانظرهما » ، وكان الجندي قد جاء بهما من غرفة أخرى ، فالتفت وراءه فإذا المرأة زوجته ، وإذا الرجل أحد أصدقائه ، فصرخ صرخة رجفت لها جوانب المخفر ، وملأت

نوافذه وأبوابه عيوناً وآذاناً، ثم سقط مكانه مغشياً عليه، فأشرتُ على المأمور أن يرسل المرأة إلى منزل أبيها ففعل، وأطلق سبيل صاحبها، ثم حملنا الفتى في مركبة إلى منزله].

ثم ذكر السيد المنفلوطي رحمه الله آخر القصة، وحاصلها أن الفتى مات كمداً وحسرة من هذه الفضيحة التي اختتم بها حياته ...

« طه حسين » عميد التغريب في الفكر المعاصر
دوره في « تحرير المرأة » وجرائمه في حق الإسلام[(٣١٩)]

في يناير ١٩٥٠م :

حمل « حسين سري » (رئيس الديوان) إلى الملك « فاروق » مشروع التشكيل الوزاري الذي سلمه إليه « مصطفى النحاس » رئيس حزب الوفد، أخذ الملك في مراجعته، ولما بلغ اسم « طه حسين » قال فاروق :

(مستحيل مستحيل أنتم لا تعرفون خطورة هذا الرجل)

وقال أيضاً :

(من المحال أن أوافق على أن يكون وزيراً للمعارف بالذات مستحيل) ، وتدخل « كريم ثابت » الصليبي وأقنع الملك بالعدول عن موقفه .

فمن هو ذلك الرجل الذي أشفق الطاغية «فاروق» من خطره؟

لعل أغلب أبناء هذا الجيل طرق أسماعهم اسمُ « طهَ حسين » الموصوف زوراً بأنه « عميد الأدب العربي » ، وتخيلوه ــ من جراء الدعاية المسلطة على عقولهم ــ الرجل المسلم الوقور ، تحيطه هالة من الشهرة المدوية ، والتاريخ الحافل بالأمجاد .

إن من الواجب على أبناء اليقظة الإسلامية المعاصرة أن يمحصوا حقيقة ذلك

---

(٣١٩) استفدت فقرات هذا الفصل من (طه حسين : حياته وفكره في ميزان الإسلام) للأستاذ « أنور الجندي) بتصرف، وانظر : (محاكمة فكر طه حسين) له أيضاً .

الرجل ، حتى لا ينخدعوا بالدعايات الكاذبة التي تملأ الآفاق مدحاً في « طه حسين » ، وتمجيداً له ، في حين أنه كان صنيعة لأعداء الإسلام ، وداعية للتبعية المطلقة للمدنية الغربية بكل مفاسدها وشرورها .

إن « طه حسين » مسئول عن كثير من مظاهر الفساد والتحلل التي ينوء بها المجتمع اليوم ، ولقد خاض معركة بل معارك من أجل « تسميم » الآبار الإسلامية ، وتزييف مفهوم الإسلام والتاريخ الإسلامي ، معتمداً على سياسة المستشرقين في التحول من المهاجمة العلنية للإسلام إلى خداع المسلمين بتقديم طُعمْ ناعم في أول الأبحاث ثم دس السم على مهل متستراً وراء دعوى « البحث العلمي » و « حرية الرأى » !!

وليس المقام مقام (الترجمة) لطه حسين ، ولكنه مقام التنبيه إلى دوره الخطير في محاربة الإسلام وتهديد حصونه من داخلها ، ثم سرد مقتطفات من أقواله وأفعاله التي تبين مدى حقده على هذا الدين وعلى هذه الأمة ، ولا أجد أصدق في التعبير عن ذلك من حكم أستاذه « التلمودي » المستشرق « ماسينيون » عليه .

فقد قال الدكتور زكي مبارك : (وقف المستشرق ما سينيون ، يوم أديت امتحان الدكتوراه فقال : إنني حين أقرأ بحثاً لطه حسين أقول : « هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا »[٣٢٠] اهـ ، وهاك أمثلة من أقواله الكفرية ، ومواقفه الإبليسية :

١ ــ فمن ذلك : تكذيبه القرآن المجيد وسائر الكتب المساوية في قوله :

(للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي فضلاً عن إثبات هذه القضية التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ، ونشأة العرب المستعربة ونحن مضطرون أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام

---

(٣٢٠) (زكي مبارك) للأستاذ أنور الجندي ص(١٣٢) .

واليهود، والقرآن والتوراة من جهة أخرى) اهـ .

٢ ــ ومن ذلك قوله : (إن القرآن المكي يمتاز بالهروب من المناقشة والخلو من المنطق) تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً .

٣ ــ ومن ذلك قوله : (ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية، وبين ما وصل إليه العلم) وقوله : (إن الدين لم ينزل من السماء، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها)، (إن الدين حين يقول بوجود الله ونبوة الأنبياء يثبت أمرين لا يعترف بهما العلم) اهـ .

٤ ــ ومن ذلك قوله : (إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين، وستبقى كذلك بل يجب أن تبقى وتقوى، والمصري فرعوني قبل أن يكون عربياً، ولا يطلب من مصر أن تتخلى عن فرعونيتها، وإلا كان معنى ذلك: اهدمي يامصر أبا الهول والأهرام، وانسى نفسك واتبعينا، لا تطلبوا من مصر أكثر مما تستطيع أن تعطي، مصر لن تدخل في وحدة عربية سواء كانت العاصمة القاهرة أم دمشق أم بغداد، وأؤكد قول أحد الطلبة القائل: « لو وقف الدين الإسلامي حاجزاً بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه ») اهـ.

٥ ــ ومنه قوله في مجلة « كوكب الشرق » (١٢ أغسطس ١٩٣٣) :

(لم أكن في اللجنة التي وضعت الدستور القديم، ولم أكن بين الذين وضعوا الدستور الجديد، ولم يستشرني أولئك وهؤلاء في هذا النص الذي اشتمل عليه الدستوران جميعاً، والذي يعلن أن للدولة المصرية ديناً رسمياً هو الإسلام، ولو قد استشارني أولئك وهؤلاء لطلبت إليهم أن يتدبروا، وأن يتفكروا قبل أن يضعوا هذا النص في الدستور) اهـ.

٦ ــ ومن ذلك أنه دعا طلاب كلية الآداب إلى اقتحام القرآن في جرأة، ونقده بوصفه كتاباً أدبياً يقال فيه : هذا حسن، وهذا (كذا) تعالى الله عن

زندقته علواً كبيراً، فقد حكى عنه (عبد الحميد سعيد) قوله :

(ليس القرآن إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجرى عليه مايجرى عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائياً عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتاباً عادياً فتقولوا فيه كلمتكم، ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب، ويبين ما يأخذه عليه)(*) اهـ .

٧ ــ ومن ذلك : حملته الشديدة على الأزهر الشريف وعلمائه الأفاضل، ورميهم جميعاً بالجمود، وحثه على (استئصال هذا الجمود، ووقاية الأجيال الحاضرة والمقبلة من شره) على حَدِّ تعبيره .

٨ ــ ومن ذلك أيضاً تشجيعه لحملة (محمود أبو رية) على السنة الشريفة، ومن ذلك أيضاً تأييده لـ (عبد الحميد بخيت) حين دعا إلى الإفطار في رمضان، وثارت عليه ثائرة علماء المسلمين .

٩ ــ ومنه : مطالبته بإلغاء التعليم الأزهري، وتحويل الأزهر إلى جامعة أكاديمية للدراسات الإسلامية، وقد أطلق عليها (الخطوة الثانية) وكانت « الخطوة الأولى » هي إلغاء المحاكم الشرعية التي هلل لها كثيراً .

١٠ــ قوله : (خضع المصريون لضروب من البغي والعدوان جاءتهم من الفرس والرومان والعرب أيضاً)اهـ .

١١ــ ومن ذلك أنه أعاد خلط الإسرائيليات والأساطير إلى السيرة النبوية بعد أن نقاها العلماء المسلمون منها، والتزيد في هذه الإسرائيليات والتوسع فيها .

١٢ــ ومن ذلك : حملته على الصحابة رضي الله عنهم، وعلى الرعيل الأول من الصفوة المسلمة، وتشبيههم بالسياسيين المحترفين الطامعين في

(*) من « طه حسين » لانور الجندي ص(٢٢٩) .

السلطان ــ وحاشاهم رضي الله عنهم ــ وذلك في محاولة منه لإزالة ذلك التقدير الكريم الذي يكنه المؤرخون المسلمون لصحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم.

١٣ــ ومن ذلك: عمله على إعادة طبع رسائل « إخوان الصفا » وتقديمها بمقدمة ضخمة في محاولة إحياء هذا الفكر الباطني المجوسي المدمر، وإحياؤه شعر المجون والفسق، والحديث عن شعرائهما بهالة من التكريم كأبي نواس وبشار وغيرهم، وكذا ترجمة القصص الفرنسي الإباحي الماجن، وطعنه في ابن خلدون والمتنبي وغيرهما.

١٤ــ ومن ذلك قوله: (أريد أن أدرس الأدب العربي كما يدرس صاحب العلم الطبيعي علم الحيوان والنبات، ومالي أدرس الأدب لأقصر حياتي على مدح أهل السنة، وذم المعتزلة، من الذي يكلفني أن أدرس الأدب لأكون مبشراً للإسلام، أو هادماً للإلحاد) اهـ.

١٥ــ ومنه قوله: (إن الإنسان يستطيع أن يكون مؤمناً وكافراً في وقت واحد، مؤمناً بضميره وكافراً بعقله، فإن الضمير يسكن إلى الشيء، ويطمئن إليه فيؤمن به، أما العقل فينقد ويبدل ويفكر أو يعيد النظر من جديد. فيهدم ويبني، ويبني ويهدم) اهـ.

١٦ــ ومن ذلك قوله: (علينا أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، فنأخذ الحضارة خيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يُحَبُّ منها وما يكره، وما يحمد منها، وما يُعاب) اهـ.

١٧ــ ومن ذلك قوله في تصوير سر إعجابه « بأندريه جيد »: (لأنه شخصية متمردة بأوسع معاني الكلمة وأدقها، متمردة على العرف الأدبي، وعلى القوانين الأخلاقية، وعلى النظام الاجتماعي، وعلى النظام لمسياسي، وعلى

أصول الدين)، وذكر أنه يحب « أندريه جيد » ويترسم خطاه، ويصور نفسه من خلال شخصيته.

١٨ـــ ومن ذلك: وصفه لوحشية المستعمرين الفرنسيين وقسوتهم في معاملة المسلمين المغاربة: بأنها (معاناة ومشقة في سبيل بسط الحضارة الفرنسية والمدنية على تلك الشعوب المتوحشة التي ترفض التقدم والاستنارة).

١٩ـــ ومن ذلك: استقدامه لبعض المستشرقين المحاربين لله ورسوله الطاعنين في القرآن الكريم لإلقاء محاضرات حول الإسلام في الجامعة المصرية لتشكيك الطلاب في القرآن والإسلام.

٢٠ـــ ومن ذلك: تشجيعه تيار التنصير في الجامعة، وحينما اكتُشف هذا المخطط التنصيري قال: (ما يضر الإسلامَ أن ينقص واحداً، أو تزيد المسيحية واحداً) وعندما تكشف أن هناك كتباً مقررة في قسم اللغة الإنكليزية تتضمن هجوماً على الإسلام ورسوله ﷺ قال: (إن الإسلام قوي، ولا يتأثر ببعض الآراء) واكتفي بهذا، في حين ترك للأساتذة الإنكليز مطلق الحرية في هذا العمل.

٢١ـــ ثم عمد « طه حسين » إلى إخراج كل من له رأى أو أصالة من كلية الآداب، واستبقى أعوانه الذين سار بهم إلى الطريق الذي رسمه، وأعانه على ذلك « لطفي السيد » الذي كان مديراً للجامعة، وفي نفس الوقت تابعاً لخطط « طه حسين »، وخاصة في خطة إنشاء معهد « التمثيل والرقص الإيقاعي »، ودعوة الطالبات إلى الاختلاط، وتحريضهن على ذلك، ومعارضة الجبهة المسلمة التي حاولت أن تدعو إلى الدين والأخلاق، وهكذا تحولت الجامعة إلى مجتمع متحلل من قيود الأخلاق الإسلامية، فأقيمت حفلات رسمية في دار الأوبرا خليت لها الراقصات المحترفات، ومن ثم عرفت

حفلات الرقص والسمر في البيوت مما قصت أخباره بعض الخريجات وغيرها، والرحلات المشتركة؛ وما كان يجرى في اتحاد الجامعة، ورابطة الفكر العالمي من محاضرات مادية إلحادية، ومقطوعات فرنسية على البيانو، وروايات تمثيلية تقوم على الحب والغرام .. وقد وصل الأمر إلى حد أن أحد الأساتذة « الأجانب » ضاق ذرعاً بذلك الفساد فكتب يقول: (إنه خليق بالجامعة أن تمثل المثل الأعلى ــ « يعني للطلاب » ــ لا أن تمثل فيهم دور السكير) ! .

وكان « طه حسين » يرعى ذلك ويقول: (إن هذا النوع من الحياة الحديثة لن يمضي عليه وقت طويل في مصر، حتى يغير العقلية المصرية تغييراً كبيراً) .

٢٢ــ وتتابعت خطوات « طه حسين » في كلية الآداب في سبيل خطته، فأقام حفلًا لتكريم « رينان » الفيلسوف الفرنسي الذي هاجم الإسلام أعنف هجوم، ورمي المسلمين والعرب بكل نقيصة في أدبهم وفكرهم، وكذلك جعل « طه حسين » الشعار الفرعوني هو شعار الجامعة، وقد لقى من ذلك كله معارضة شديدة وخصومة واسعة وصلت إلى كل مكان في البلاد العربية، وأرسل إليه الأستاذ « توفيق الفكيكي » من العراق برقية قال فيها: « إن شعاركم الفرعوني سيكسبكم الشنار، وستبقى أرض الكنانة وطن الإسلام والعروبة برغم الفرعونية المندحرة » .

٢٣ــ وذكرت مجلة « النهضة الفكرية » في عددها الصادر في ٧ نوفمبر ١٩٣٢ : (أن الدكتور « طه » تعمد في إحدى كنائس فرنسا، وانسلخ من الإسلام من سنين في سبيل شهوة ذاتية)[٣٢١] .

---

(٣٢١) انظر ما قيل حول تنصره في « طه حسين : حياته وفكره في ميزان الإسلام » للأستاذ « أنور الجندي » ص(٧٣ ــ ٧٤) .

ولقد هوجم (طه حسين) منذ اليوم الأول إلى اليوم الأخير، لم تتوقف حركة اليقظة عن متابعته وكشف شبهاته وتزييف آرائه، ودحر مخططه، ولكنه مع كل ذلك كان يقبض الثمن، ويكافأ بكل إصرار على خدماته لأعداء الإسلام، فلقد ظل يترقى في المناصب رغم الحملات التي شنها عليه علماء الإسلام في كافة البقاع الإسلامية، ظل يترقى في مخطط مرسوم من أستاذ إلى عميد إلى مدير جامعة إلى مستشار فني إلى وزير، وظل حتى اللحظات الأخيرة من حياته مشرفاً على اللجنة الثقافية في الجامعة العربية ورئيساً لمجمع اللغة العربية، وله نفوذه الواسع في وزارة المعارف والجامعات وذلك مصداق قول « هاملتون جب » المستشرق :

(سواء قوبلت آراء « طه حسين » بالموافقة أم لم تقابل، فلابد أن يقضي نفوذه الواسع الذي يتمتع به إلى توطيد المبادىء التي يدعو إليها) اهـ .

وقال المستشرق « كاممفاير » :

(إن المحاولة الجريئة التي قام بها « طه حسين » ومن يشايعه في الرأى لتخليص دراسة العربية من شباك العلوم الدينية هي حركة لا يمكن تحديد آثارها على مستقبل الإسلام) اهـ .

بل قال هو عن نفسه : (إنني أفكر بالفرنسية، وأكتب بالعربية) اهـ .

وفي تقرير خطير يصف المكر اليهودي الأمريكي لإبادة الجيل المسلم، وبصورة مكشوفة يطالب التقرير بوجوب الإفادة من آراء « طه حسين » ومؤلفاته .

[وقد دعا التقرير إلى وجوب تأليف « لجنة مكافحة الإسلام تنبع من وكالة الأمن القومي الأمريكي، وقد استعانت هذه اللجنة بعدة شخصيات منها نائب ما يسمى ب (البابا) المسؤول عن التبشير مع الجمعيات الدينية، كما استعانت بتقرير الإدارة

البريطانية وغيرها من تقارير الدول الاستعمارية في الغرب والشرق .

وقد جاء في توصيات اللجنة السابقة بالحرف الواحد :

« وجوب تسليط الدعاية والإعلام على مجددي الدِّين المزعومين كطه حسين وأمثاله »][٣٢٢] اهـ .

هذا وقال الأستاذ الشيخ « عبد ربه مفتاح » من علماء الأزهر في مقالة نشرها الكوكب ، مخاطباً « طه حسين » : (وكيف تزعم أيُّها الدكتور أن « بعض » العلماء أثار هذا الأمر ــ أمر كفرك ــ وهاأنذا أصرح لك ــ والتبعة في ذلك عَليَّ وحدى ــ بأن العلماء أجمعين وعلى بكرة أبيهم يحكمون عليك بالكفر ، وبالكفر الصريح الذي لا تأويل فيه ولا تجوُّز ؛ واتحداك ، وأطلب منك بإلحاح أو رجاء أن تدلني على واحدٍ منهم « وواحد فقط » يحكم عليك بالفسوق والعصيان دون الكفر ؛ أجل إني وأنا من بينهم أتهمك بالكفر ، وأتحمل تبعة هذا الاتهام ، وعليك تبرئة نفسك من هذا الاتهام الشائن ، والمطالبة بما لَكَ من حقوق نحوى)[٣٢٣] ا هـ .

وأخيراً : فهذه لمحة خاطفة عن « طه حسين » الرجل الذي تشهد كتبه بأنه لم يكن إلا بوقاً من أبواق الغرب ، وواحداً من عملائه الذين أقامهم على حراسة السجن الكبير ، يروِّجُ لثقافاته ، ويعظمها ، ويؤلف قلوب العبيد ليجمعهم على عبادة جلاديِهم ، (ويوطد دعائم الود والتفاهم بين الحمار وراكبه ، وهي دعائم تفيد الراكب دائماً ، ولا تفيد الحمار !)[*] .

---

(٣٢٢) (طه حسين في ميزان العلماء والأدباء) للأستاذ محمود مهدي الاستانبولي ، نقلاً عن مجلة (حضارة الإسلام) ع : (٤٤٢٠) بين ١٣٩١ (١٩١٩) .

(٣٢٣) السابق ــ ص (٥٥٢) .

(*) انظر : (حصوننا مهددة من داخلها) ص(١٠١) ــ الطبعة السابعة .

كيف واجه المسلمون مؤمرات « طه حسين » ؟

أصر (طه حسين) على استبقاء كتب (برناردشو) وغيره التي تهاجم الإسلام في كلية الآداب بحجة أن الإسلام قوي ولن يتأثر بهذا الرأى أو ذاك .

سرت عند ذلك روح الغيرة الإسلامية عند الطلاب ، فقاومت مؤامرات (طه حسين) على الإسلام ، وحاصرته في مكتبه بكلية الآداب ، وكادت تفتك به لولا أن انقذه بعض الخدم فهرب ــ واعتكف كمقدمة لخروجه من كلية الآداب .

وأحرق الشباب العربي في الشام كتب (طه حسين) في ميدان عام في العاصمة دمشق ، ووصفه العلماء بالإلحاد والزندقة .

وقام بعض تلامذته الذين استيقظ فيهم الشعور بالكرامة والعزة الإسلامية وكشفوا حقيقته بفضح أهدافه ، وكشف تزويره وسرقته من كتب المؤلفين الغربيين .(٣٢٤) .

وتصدى له عشرات العلماء والدعاة والمفكرين لعداونه المتكرر على حرمات الإسلام ، وفضحوا مؤامراته على الإسلام ، ومن ذلك المقالة التالية :

بين « حسن البنا » و « طه حسين » :

فقد عقد الأستاذ « حسن البنا » رحمه الله فصلاً في مجلة « التعارف » تحت عنوان : « إذا كان هذا(٣٢٥) صحيحاً يا دكتور فقد اتفقنا » .

وكان مما جاء فيه بصدد قضية « الاختلاط » :

(وهل من الدعوة الإسلامية يا دكتور أن تخلط بين الفتيان والفتيات هذا الخلط

---

(٣٢٤) انظر « طه حسين » للأستاذ « أنور الجندي » ص(٧٩) .

(٣٢٥) يقصد الشيخ « حسن البنا » رحمه الله بكلمة (هذا) الإشارة إلى قول « طه حسين » في حفل تكريم أقيم له : (وأتمنى أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه ، كما أدافع أنا عنه ، وأن ينشرو ويحببه للناس كما أبشر به أنا ، وكما أحبب مبادئه للناس) اهـ ! وانظر « طه حسين » للأستاذ « أنور الجندي » ص(٨٥ ــ ٨٩) .

في كلية الآداب فتحذو حذوها غيرها من الكليات، وتبوء أنت بإثم ذلك كله ؟ وتريد للفتيات في صراحة هذا الاختلاط، وتحثهن عليه، وتدعوهن إليه، ولا تقل إن هذا من عمل غيرك، فيداك أوكتا، وفوك نفخ، وما تحمس لهذا، ودعا إليه، وحمل لواءه، واستخدم نفوذه في تحقيقه أحد كما فعلت ذلك أنت، ولعلك تعتبر هذا من مآثرك ومفاخرك، ولكنني أخالفك يا دكتور، وأصارحك بأن هذا الاختلاط ليس من الإسلام، وقد رأينا ــ وسترى ــ ما كان وما سيكون له من آثار) اهـ.

وقالت (درية شفيق) : (في سنة ١٩٣٢م ظهرت صورة للدكتور « طه حسين » بك في نادي الجامعة وعلى يمينه ويساره الطلبة والطالبات جلوساً يتناولون الشاى، وقامت القيامة لهذه الصورة البريئة التي تضرب المثل للأبوة في وجود العميد و « الإخوة » ! في جلسة الطلبة والطالبات، واتخذت الصورة تكأة يتخلص بها الرجعيون من (طه حسين) و (لطفي السيد)، ووقف الرجعيون في مجلس النواب يحملون على الجامعة ورجالها فكرة تعليم البنات فيها، ويرون ذلك فضيحة من الفضائح يجب أن تحول دونها الحكومة)[٣٢٦] اهـ.

وفي غرة المحرم ١٣٥٦هـ (الموافق ١٤ مارس ١٩٣٧ م) زحف موكب كبير من طلبة الجامعة المصرية والأزهر ودار العلوم يزيد على أربعة آلاف نسمة، ومن خلفهم أضعاف أضعافهم من ولاة أمور الطلاب، واتجه الموكب إلى قصر الأمير (محمد علي) رئيس مجلس الوصاية مطالبين بتعميم التعليم الديني والتربية الإسلامية في جميع أدوار التعليم إلى نهاية درجته العليا، وفصل الشابات عن الشبان في الجامعة المصرية كما هو الحال في أدوار التعليم التي قبل الجامعة، والاهتمام بالتربية بقدر الاهتمام بالتعليم)[٣٢٧]

(٣٢٦) من « تطور النهضة النسائية في مصر » ص(٧٢).

(٣٢٧) « إهابة » للكاتبة « عزيزة عباس عصفور » ص(١٢٨، ١٣٣)، وقد كان لهذه المطالب صدى واسع لدى المؤيدين والمعارضين، وفي هذا الكتاب « إهابة » جمعت الكاتبة النشرات والمقالات التي باركت تلك الحركات الإسلامية الطلابية، فراجعه إن شئت.

وانبرى الأديب الكبير (مصطفى صادق الرافعي) يبارك مطالب شباب الجامعة التي تجاوبت بها أصداء البلاد، ويرد على « طه حسين » وأشياعه تحت عنوان :

إلى شباب الجامعة[٣٢٨]

(حياكم الله يا شباب الجامعة المصرية، لقد كتبتم الكلمات التي تصرخ منها الشياطين، كلمات لو انتسبن لانتسبت كل واحدة منهن إلى آية مما أنزل به الوحي في كتاب الله.

فطلب تعليم الدين لشباب الجامعة ينتمي إلى هذه الآية :

﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾الأحزاب (٣٣)

وطلب الفصل بين الشباب والفتيات يرجع إلى هذه الآية :

﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ الأحزاب (٥٣)

يريد الشباب مع حقيقة العلم حقيقة الدين، فإن ألعلم لا يعلم الصبر ولا الصدق ولا الذمة، يريدون قوة النفس مع قوة العقل، فإن القانون الأدبي في الشعب لا يضعه العقل وحده، ولا ينفذه وحده.

يريدون قوة العقيدة حتى إذا لم ينفعهم في بعض شدائد الحياة ما تعلموه نفعهم ما اعتقدوه ...

لا ... لا ...، يارجال الجامعة ! إن كان هناك شيء اسمه حرية الفكر فليس هناك شيء اسمه حرية الأخلاق .

وتقولون : أوربا وتقليد أوربا ؟ ونحن نريد الشباب الذين يعملون لاستقلالنا لا

---

(٣٢٨) « وحي القلم » (١٨٤/٣ ـــ ١٨٨) تحت عنوان : (قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر)، وانظر (إهابة) لعزيزة عباس عصفور ص(٧٨ ـــ ٨٠) .

لخضوعنا لأوربا .

وتقولون : إن الجامعات ليست محل الدين ، ومن الذي يجهل أنها بهذا صارت محلاً لفوضى الأخلاق ؟

وتزعمون أن الشباب تعلموا ما يكفي من الدين في المدارس الابتدائية والثانوية ، فلا حاجة إليه في الجامعة .

أفترون الإسلام دروساً ابتدائية وثانوية فقط ؟ أم تريدونه شجرة تغرس هناك لتقلع عندكم ؟) اهـ .

بين « الزهاوي » و « ابن الخطيب » :

ومن فصول المعركة الهجمات التي شنها الشاعر العراقي الملحد المدعو « جميل صدقي الزهاوي »(٣٢٩) حيث أكثر من الطعن في الدين والتنفير من شرائعه ، حتى قال في الحجاب :

أخر المسلمين عن أمم الأر　ض حجاب تشقي به المسلماتُ

فانبرى له الشيخ ابن الخطيب وعارضه قائلاً(٣٣٠) :

بئس ما يدعى فلاسفة العصـ　ـرِ من أن السفور فيه الحياةُ

---

(٣٢٩) والزهاوي هو القائل في حب الإنكليز أعداء الإسلام والتنفير من الترك المسلمين :

تبصر أيها العربي واترك　ولاء الترك من قوم لئام

ووال الإنجليز رجال عدل　وصدق في الفعال وفي الكلام

أحب الإنكليز وأصطفيهم　لمرض الإخاء في الأنام

جلوا في الملك ظلمة كل ظلم　بعدل ضاء كالبدر التمام

(من ديوان الزهاوي) ط دار العودة — بيروت

وله أشعار كثيرة في ذم الحجاب والتنفير منه ضربنا عنها صفحاً — عليه من الله ما يستحقه .

(٣٣٠) (حقائق ثابتة في الإسلام) لابن الخطيب ص(٨١ — ٨٦) .

وهو حق إذ إن أسلافنا الأعـ ... ـراب من فرط من يحبون ماتوا[٣٣١]

يا خليلي حدث عن الشرق قدماً ... حين كانت تعظم المعجزاتُ

حين كان القرآن يُرْجَى ويُخشى ... والقوانيـنَ آيـةُ البينـات

حين كان الحديث يتلى ولا ير ... ويه إلا ذوو العقول الثقاتُ

إننا في الزمان نلقي أناساً ... في التوضي علومهم قاصراتُ[٣٣٢]

وهمو بعدُ يدَّعون علوماً ... أنكرتها عصورُنا الخاليات[٣٣٣]

ليت شعري ماذا يريدون منا ... وصنوف الأذى بنا محدقات

بنت مصر هاتي سفورك واغشى ... كلَّ نادٍ لتمل منكِ الجهات[٣٣٤]

عرفي نفسك الغداة وطوفي ... لا تَفُتْكِ الأسواقُ والحانات

ثم أُمّي مجالس القوم وادعيـ ... ـهم إلى حيث لا تمل الدعاة

علناً بالسفور نبني حصوناً ... شامخات بها ترد العداة

وعسانا نرى البرايا سجوداً ... لابن مصر وقد علاه السبات[٣٣٥]

---

(٣٣١) تهكم بهذا الرأى الفاسد والقول المذموم، فهو يصدقهم في ما زعموه من أن السفور سبب للحياة، إشارة إلى أن من مات من أعفاء العرب حزناً وجوى لعجزهم عن رؤية من يحبون نظراً لأن الحجاب كان يحول دون ذلك، فيموت العاشق أو يجن، وفي هذا يقول قائلهم :

ما كان أغنانى عن حب مَن ... مِن دونه الأستارُ والحُجْبُ

في حين أن السفور الممقوت قد خلط الحابل بالنابل، وجعل العاشق متمكناً ومالكاً لمن يعشقها، فانقشع (بفضل) السفور الأسى والجوى، وحل محلهما القرب والنجوى، فعم بذلك الشر والبلوى، واستوجبوا به غضب الجبار، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣٣٢) أي أنهم لا يتقنون الوضوء، أو : لا يتوضئون أصلاً لتركهم الصلاة .

(٣٣٣) وذلك لأنهم مع جهلهم حتى بفقه الوضوء، يتقمصون صور العلماء والأحبار، ويتشدقون بالنصوص الشرعية بعد تحريفها وتأويلها مدعين أن السفور لا ينافي الدين، ويأتون بفهم للنصوص سقيم لم يسبقهم إليه سلف ولا خلف .

(٣٣٤) أمر قصد به التهكم والاستهزاء .

(٣٣٥) أي تركه النوم والخمول .

ولعمري لقد بكى الدين حزناً حين قال الخطيب: يا سيدات[٣٣٦]

ومن قذائف الحق في هذه المعركة:

ما قاله الأديب الشاعر « مصطفى صادق الرافعي » ردًّا على دعاة « تحرير » المرأة:

أراك تُرَجِّين الذي لستِ أهلَه وما كل علم إبرة وثيابُ
كفى الزهر ماتندي به راحة الصبا وهل للندى بين السيول حساب
وما أحمق الشاة استفرت بظلفها إذا حسبت أن الشياه ذئاب
فحسبكِ نبلاً قالة الناس أنجبت وحسبكِ فخراً أن يصونك باب
لك القلب من زوج ووُلِدٍ ووالد وملك جميع العالمين رقاب
ولم تُخْلَقي إلا نعيماً لبائس فمن ذا رأى أن النعيم عذاب
دعى عنك قوماً زاحمتهم نساؤهم فكانوا كما حف الشرابَ ذباب
تساوَوْا فهذا بينهم مثل هذه وسيَّان معنىً يافع وكعاب
وما عجبي أن النساء ترجلت ولكنَّ تأنيث الرجال عُجَاب[٣٣٧]

ومنها: ما كان من الشاعر الأستاذ (محمد حسن النجمي)، وقد اطلع على رَدِّ

---

(٣٣٦) أي عندما غشيت النساء المحافل والمنتديات مختلطات بالرجال، وصار الخطباء يفتتحون كلامهم بقولهم (سيداتي سادتي)، هذه العبارة كان (سعد) يحلم باليوم الذي تقال فيه، إذ قال في حفل تكريم له أقامه تجار العاصمة على أثر عودته من منفاه: (سادتي .. كنت أود أن أقول: « سيداتي وسادتي »، .. وأتعشم أن يأتي يوم أرى فيه خطباءنا يبدأون بتلك البداية) اهـ من كتاب (المرأة المصرية) لدرية شفيق ص(١٣٣).

(٣٣٧) « ديوان الرافعي » (١٣٢١/٢هـ) (رية الحسن والقلم)، وللرافعي قصيدة أنشأها ينتقد فيها تبرج النساء لاقت في زمنه رواجاً عظيماً، ووزع منها عشرة آلاف نسخة، ذكر ذلك صديقه « أبو رية » في كتابه: (من رسائل الرافعي) قال في مطلعها:

دلالك في التبرج من ضلالك وما عاب الدلال سوى دلالك

فضيلة الشيخ (مصطفى صبري) رحمه الله على السفوريين[٣٣٨]، فأنشأ القصيدة الآتية :

زعم السفورَ والاختلاطَ وسيلةً ... للمجد قوم في المجانة أغرقوا
كذبوا، متى كان التعرض للخنا ... شيئاً تعز به الشعوب وتسبق
أيكون كشف السوأتين فضيلة ... فيذيعها هذا الشباب الأحمقُ
ما بالهم والبنت قد فتنت بما ... قالوا ، وحلَّ بها الجنون المطبق
وبدت مَقاتِل عِرضها لرُماته ... حتى لهمَّ به الجبان الأخرق
والقول أصبح في الخروج لها فلا ... كفٌّ تكف ولا رِتاج يُغلق
كرهوا الزواج بها وباتت سوقها ... بعد التبذل عندهم لا تنفق
ما خطبهم كلفوا بنزع حجابها ... وتكلفوا فيه البيان ونَمَّقوا
وتناولوا بالضعف من حاجاتنا ... واللينِ ما هو بالصرامة أخلق
أغدت مشاكلنا الكبيرة كلها ... ذيلاً يجرجره السفور المطلق
أم أنهم ضلوا السبيل وغرهم ... ببريقه هذا الجديد المخلق

* * *

أشبابنا المرجو صيحةُ جازع ... أغرى بها هذا البلاء المحدِق
ونصيحة يفضي برائع سرها ... لقوام نهضتنا محب مشفق
لا ترهفوا سمع الحفي لقالة ... أبداً بها بوم البطالة تنعق
لم يقصدوا خيراً بها لكنهم ... رَأَوْا القوى يسيغها فتملقوا
ولربما اجترح القوى خطيئة ... فمضى الضعيف بمدحها يتشدق
قوا أهلكم ونفوسكم عاراً إذا ... لم تتقوه بغيركم لا يعلق

(٣٣٨) في كتابه (قولي في المرأة) .

وتناولوا بالزجر حُمْراً كلما هيجت إلى مُتع الإباحة تنهق
ليس التمدن أن نرى روح الحيا بيد الخلاعة كل يوم تزهق
والهنت يدفعها براحته الهوى فتروح تهوي من تشاء وتعشق
لكنه العلم اهتدى بضيائه غرب البسيطة حين ضل المشرق

وقال الشاعر « محمد إقبال » في قصيدته (جواب شكوى)(*) :

لقد سئم الهوى في البِيد قيسٌ وملَّ مِن الشكاية والعذاب
يحاول أن يُباح العشقُ حتى يرى لَيْلاه وَهْيَ بلا احتجاب
يريد سفورَ وجهِ الحُسْن لَمَّا رأى وجهَ الغرامِ بلا نقاب
فهذا العهدُ أحرقَ كُلَّ غَرْسٍ مِن الماضي وأغلق كُلَّ باب
لقد أفنت صواعقه المغاني وعاثت في الجبال وفي الهضاب

★ ★ ★

هي النارُ الجديدة ليس يُلْقى لها حَطَبٌ سوى المجد القديم
خذوا إيمان إبراهيم يُنْبِتْ لكم في النار روضات النعيم
ويذكو من دم الشهداء وَردٌ سَنِيُّ العِطْر قُدْسِيُّ النسيم

ولعل مما يصور واقع (المرأة الجديدة) التي أنتجتها دعوة التحرير أصدق تصوير هذه القصيدة لفضيلة الشيخ « عبد الفتاح عشماوي » كتبها جواباً لشاب مسلمٍ حائرٍ بعنوان :

(*) (تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة) لأحمد بن يحيى النجمي ص(٥٩) .

« حـيرة »

سأل الفتى هلا أزلت لحيرتي ... كيف السبيل وقد جعلتك قدوتي ؟

فأجبت، أفصح ما بذاتك علني ... أجد السبيل بقدر ما في طاقتي

فأجاب، أبغى أن أصون غريزتي ... بزواج من تدعي بحق زوجتي

ليست مشاعاً للجيمع يرونها ... تمشي لتعرض ما يذل رجولتي

إن قلت صوني سُمْعَتي وتستري ... ألفيتها عابت عَلَيْ (رجعيتي)

أو قلت : قال الله، كان جوابها ... ما قال (قاسم) أو (فرويد) غايتي

وإذا خطبت وقلت : ما هو مهرها ؟ ... لم يتركوا إلا الفراغ بجعبتي

وإذا رأتني بالشعيرات التي ... في عارضي طلبت إزالة لحيتي

أوْ لا زواج وقد أطاعوا أمرها ... وأنا الطريد أجر ذيل الخيبة

فإذا رضخت وصار وجهي ناعماً ... وتزوَّجتني والمُضَيَّعُ سنتي

ورأيتها يوماً تغادر بيتنا ... وسألتها، قالت : أريد إدارتي

لم يبق إلا أن أكون مكانها ... وهي التي تسعى لتجلب لقمتي

وطعامها أطهو وأغسل ثوبها ... وكذاك أرضع طفلها يا بلوتي

لم لا تكون وقد رأت حكامها ... أعطوا لها ما حرمته شريعتي

من لي بذات الدين تحفظ غيبتي ... غابت فلم أر من أراها زوجتي

فأجبته وأنا أغالب دمعتي ... أسمعتنى ما زادني من حسرتي

لكن أقول وقد وُهِبْتَ هداية ... لا تيأسن وابحث عن المهدية

فهناك من صُنَّ الحياء وإنما ... غُيِّبْنَ خلف الخِدر خدرِ العفةِ

قل للتي اخضرت ولكن من دِمَن[٣٣٩] ... لا أشتريك لكي أبيع ديانتي

---

(٣٣٩) مأخوذ من معنى حديث ضعيف جداً نصه : (إياكم وخضراء الدِّمَن، فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء) ــ انظر « سلسلة الأحاديث الضعيفة » حديث رقم (١٤) .

لو عشت طول العمر غير مزوج فآنا حريص أن أبيض صفحتي
ولديَّ وعد الله حق قاطع عندي عروسك والزفاف بجنتي(٣٤٠)

المصير الأسود

وكنتيجة حتمية لذلك السفور، وهذا التبرج الجاهلي الكبير، ولنفس النظام التعليمي الفاسد الذي غايته المثلى، وهدفه الأسمي الوظيفة الحكومية وغير الحكومية، امتلأت دور الحكومة ومصالحها بالموظفات، وازدحمت بهن المسارح ودور السينما وكذلك المسابح والمصطافات، وضُمَّت البلاد بالخبث، وعمها الفساد، وانمسخ المجتمع الإسلامي، فأصبح غيره بالأمس في مظهره ومخبره، وظاهره وباطنه.

ثم جردت جيوش الشيطان، ونفثت سمومها في كل مكان، عبر السينما والتليفزيون والمسارح، وإذا بنا أمام مخطط إلحادي يجوس خلال ديارنا، وإذا بالزِنا يحميه قانون، وإذا بالفسقة والفاسقات من أهل « الفن » تقام لهم الأعياد، وتضفي عليهم صفات البطولة، وتهدى لهم الجوائز ليستعينوا بها على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.

لقد كرم الإسلام المرأة كتاباً وسنة، وحفلت شريعته برفع شأنها وصيانة حقوقها، لكنها أذلت نفسها لما اتبعت الذين حرضوها ضد فطرتها ودينها، فسلخوها من دينها، وأبعدوها عن ربها، وألقوا بها في متاهات الحياة لتقاسي شظف العيش ومكاره المحن، التي ناء بها كاهل الرجل بله المرأة، لقد حملوها حملاً على أن تصطف في طابور المنقادين لحضارة الغرب لتدخل جنته المنشودة، ولكن بعد أن تخلع على أعتابها إيمانها بالله واليوم الآخر.

---

(٣٤٠) محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ــ الموسم الثقافي للعام الدراسي ١٣٩٤هـ ــ ١٣٩٥هـ

ودفعت المرأة الثمن :

لقد فقدت المرأة اليت كان يلوح لها « أنصارها » بسعادة التحرر والتطور ــ ليس فقط سعادتها ــ بل فقدت وجودها كله كامرأة ذات قيمة في المجتمع ووزن فيه، لقد قبضت فيما مضى على دينها، فقبض الله عنها السوء، وبسط لها الحلال، حتى لم تكد تينع الثمرة في بيت أبيها إلا وتمتد يد الحلال لتقطفها، فلا تفتح عينها إلا على حليلها، ولكنها وقد ابتذلت وأهينت على يد أصدقائها وأنصارها كان أول من زهد فيها أنصارها المخادعون، ولم تعد ــ كما كانت ــ تتمتع باحترام الآباء والأزواج، ولم تعد تحاط بهالة التقدير والتعظيم، وإنما أصبحت في نظر الجميع أشبه بمحترفة تطلب العيش، وتقرع كل باب للعمل لعلها تحصل على وظيفة ــ أيًّا كانت ــ تُدِرُّ عليها دراهم معدودة، تنفق أكثرها في المساحيق للتجميل، وفي الثياب القصيرة للفتنة ولفت الأنظار .

هذا هو المنحدر الفظيع والهاوية السحيقة والمصير الأسود القاتم الذي انتهت إليه المرأة في كثير من بلاد المسلمين .

والآن :

وقد خلعت المرأة حجابها، وغادرت حصنها، وعَصَتْ ربها، فهل جنينا حقاً التقدم والرخاء والحضارة ؟

لقد خالطت الرجال، واختلط الحابل بالنابل، فهل زالت العقد النفسية ؟ وهل استقرت دواخلهما ؟ وهل جنينا سوى الثمار المريرة ؟

لقد فتحنا بلادنا أمام حملات الغزو الفكري اليهودي والصليبي والعلماني الذي سلط علينا سموم الشبهات وسهام الشهوات التي كان أفتكها المرأة فهل وجدناهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ؟

التجربة خير شاهد :

إننا لن نطيل في وصف الهاوية التي تَرَدَّتْ إليها المرأة « المتحررة » بفضل « أنصارها » و « أصدقائها » لأن الواقع حولنا يكفينا مؤنة هطه الإطالة ، إنه حقاً واقع مرير مرير ، تستطيع أن تدرك عواقبه وآثاره حيثما وقعت عينك ، في كل بيت ، في كل طريق ، في كل وظيفة .

وربما إذا كنا نتكلم من خلال خيال حالم أو حتى منذ قرن واحد مضى لا تهمنا بالتحامل أو المبالغة ..

ولكنه واقع أليم ، خير من ينبئك عنه :

هذه المرأة الضحية ...

وهؤلاء « الأنصار » و « الأُصدقاء » ...

إن صدقوا !

السياسية في المعركة

معركة سلاحها الأقلام :

رأينا ــ فيما سبق ــ كيف تحولت قضية (تحرير) المرأة المسلمة إلى حملة (سفور) مسعورة ضد الحجاب ، وكيف أخذت كلمة (تحرير) مدلول (السفور) برغم أن التحرير في الاسلام يأخذ مدلول الحجاب ، فكانت المحجبة هي « الحرة » ، والسافرة ــ أي التي تكشف وجهها ــ هي « الأمة » ، فكان السفور عنوان العبودية ، أما في ظل دعاة التحرير فإن الحجاب عندهم هو عنوان العبودية .

وتابعنا فيما مضى بعض فصول المعركة الفكرية التي انتصر فيها (السفور) على (الحجاب) وكانت ساحة هذه المعركة في الغالب صفحات الصحافة ، ثم الكتب والمطبوعات ، وقاعات الجامعة ، وسائر وسائل الإعلام ..

وقد كانت هذه الوسائل متوافرة في أيدي دعاة السفور ، ومن ثَمَّ لم تكن المعركة متكافئة ، ولم تكن الحرب عادلة ، خاصة إذا انضم إلى ذلك ادعاء السفوريين أن السفور جاء نتيجة طبيعية للتطور الحضاري المرتقب ، وأن السفور هو اختيار المرأة ذاتها ، ورغبتها الفعلية الحرة من أجل خلاصها من العبودية .

بل لم يبخل السفوريون بأن يخدعوا أنفسهم ، أو يخادعوا الإسلاميين بقواعد شرعية صحيحة يحرفونها عن مواضعها ، ويستدلون بها لتسويغ باطلهم .

وتطوع علماء السوء بالتزلف ــ تحت ضغط « سيف المعز » و « ذهب المعز » ــ وراحوا ينتزعون من النصوص الشرعية ما يمكن أن يبرروا به للحكام مخالفتهم للشرع ، هؤلاء الحكام الذين راحوا يتشدقون بأن (الدين في نظرهم ثقافة ليس إلا) ، وأنه (لا دين في السياسة ، ولا سياسة في الدين) ، هم أنفسهم رحبوا بالدين طالما صلى لهم « رجال الدين » « صلاة الاستسقاء » إذا عطشوا ، و « صلاة النصر »

إذا انتصروا، و « صلاة الحاجة » إذا مرضوا، ثم « صلاة الجنازة » إذا ماتوا .

معركة سلاحها البطش :

إذا كانت دعوة « تحرير المرأة » أساساً دعوة استعمارية أسَّسها الاستعمار، وربي دعاتها على موائده، ومكن تلاميذه من نشرها ..

وإذا كان هؤلاء السفوريون سلكوا تلك الأساليب الملتوية في عرض دعوتهم لتزييف الحقيقة والصد عن سبيل الله ..

وإذا كانت أعراض التآمر واضحة في كل خطوة من خطوات حركة تحرير المرأة. . فهل يمكن بعد ذلك أن يدّعى أن المعركة التي انتصر فيها السفور على الحجاب في بلاد المسلمين كانت معركة شريفة حقاً انتصر فيها (السفور) لأنه التطور الحضاري المرتقب كما يزعمون، ولأنه الرغبة الفعلية للمرأة واختيارها الحر من أجل خلاصها ؟

وإذا كانت فصول المعركة الفكرية بعد أن انتهت بهذا الانتصار [illegible]ـب قد تحولت إلى معركة حقيقية تفرضها سياسة جائرة تحكم أمة مستضعفة مقهورة، وجنود مسلحون أمام نساء عزل، وقوانين إرهابية، وإجراءات تعسفية، ومشانق تعلق، وسجون تعمَّر، ونيران تضرم، فهل يمكن بعد هذا كله القول بأنها كانت معركة شريفة انتصر فيها السفور على الحجاب طبقاً للاختيار الحر للمرأة، وأنها ثمرة من ثمرات « الديمقراطية » المزعومة، أو « الحرية » الأسيرة، أو « التقدم » الرجعي الذي يعيدنا إلى الجاهلية الأولى ؟

والآن ـــ وقبل أن نستأنف عرض تفاصيل المعركة المسلحة ضد الحجاب ـــ دعونا نطالع أولاً هذه السطور المضيئة للإمام المحقق ابن قيم الجوزية وهو يعدد واجبات أولي الأمر :

مسئولية الحاكم المسلم :

قال رحمه الله[٣٤١] : (ومن ذلك : أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفرج ومجامع الرجال .

قال مالك رحمه الله ورضي عنه : « أرى للإمام أن يتقدم إلى الصناع في قعود النساء إليهم ، وأرى أن لا يترك المرأة الشابة تجلس إلى الصناع ، فأما المرأة المتجالة ، والخادم الدون التي لا تتهم على القعود ، ولا يتهم من تقعد عنده : فإني لا أرى بذلك بأساً » انتهى .

فالإمام مسئول عن ذلك ، والفتنة به عظيمة ، قال ﷺ : « ماتركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »[٣٤٢] ، وفي حديث آخر أنه قال للنساء : « لكُنَّ حافات الطريق »[٣٤٣] ، ويجب عليه منع النساء من الخروج متزينات متجملات ، ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات ، كالثياب الواسعة والرقاق ، ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات ، ومنع الرجال من ذلك .

وإن رأى ولي الأمر أنْ يفسد على المرأة ــ إذا تجملت وتزينت وخرجت ــ ثيابها بحبر ونحوه ، فقد رخص في ذلك بعض الفقهاء وأصاب ، وهذا من أدنى عقوبتهن المالية ، وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها ــ ولا سيما إذا خرجت متجملة ــ بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية ، والله سائل وليّ الأمر عن ذلك ، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشى

---

(٣٤١) « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » ص(٢٨٠ ــ ٢٨١) .

(٣٤٢) رواه الشيخان وغيرهما عن أسامة رضي الله عنه.

(٣٤٣) أخرجه أبو داود عن أبي أسيد الأنصاري بلفظ : (ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكن بحافات الطريق : وفي سنده مجهول ، لكن له شاهد حسن من حديث أبي هريرة بلفظ : (ليس للنساء وسط الطريق) رواه ابن حبان وغيره ، فيتقوى به (صحيح الجاع ٥ / ٩٨) ، وتحقيق « شرح السنة » (٣٢٢/١٢) .

في طريق الرجال، والاختلاط بهن في الطريق(٣٤٤)، فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك.

وقال الخلال في جامعه : أخبرني محمد بن يحيى الكحال أنه قال لأبي عبد الله : أرى الرجل السوء مع المرأة ؟ قال : صِحْ به، وقد أخبر النبي ﷺ : « أن المرأة إذا تطيبت، وخرجت من بيتها فهي زانية »(٣٤٥).

ويمنع المرأة إذا أصابت بخوراً أن تشهد عشاء الآخرة في المسجد(٣٤٦)، فقد قال النبي ﷺ : « المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان »(٣٤٧).

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصلُ كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه منْ أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة) اهـ.

فهذه نبذة يسيرة مما ينبغي أن يكون عليه الحاكم المسلم، وأن سلطته ــ بقوة الشرع الذي يجعل طاعته جزءاً من الدين ــ تمتد إلى هذه الحدود الواسعة ردعاً للفسقة ومشيعي الفاحشة، ومراعاة لقوله ﷺ : « كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع وهو مسئول عن رعيته » الحديث(٣٤٨).

---

(٣٤٤) وقد روى أنه رضي الله عنه رأى رجلًا وامرأة يتكلمان في الطريق ــ وقد تكون زوجته أو من محارمه ــ فعلاهما بالدرة، وقال : (ما وجدتما مكاناً غير هذا تتكلمان فيه ؟) فأين أنت يا عمر وأين درتك ؟ ما أحوجنا إليكما الآن !.

(٣٤٥) أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي والحاكم والإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ : (أيما إمرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية) وقال الترمذي : حسن صحيح، وقال الحاكم : (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي.

(٣٤٦) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : (أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة) أخرجه مسلم وأبو عوانة في صحيحهما، وأصحاب السنن، وغيرهم.

(٣٤٧) رواه البزار والترمذي والطبري في الكبير، وصححه الألباني (إرواء الغليل ١/٣٠٣) رقم (٢٧٣).

(٣٤٨) رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها** ﴾الآية، **الأنعام (١٢٣)**.

وهذا ما جرى من « أكابر مجرمي » قُرانا حيث تمكن منها تلامذة الاستعمار الأمناء على عهده، الحافظون لمآربه، وهم قوم صغار النفوس لا يقف استهتارهم وعنادهم للشرع عند حد، والأمة إذا أسندت أمرها إلى صغار النفوس كبرت رذائلهم لا نفوسهم، وإذا حكم الفاسق فقد حكم الفسق.

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب المجامع
وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات[٣٤٩] مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ».

قال الأستاذ محمد أديب كلكل[٣٥٠] مشيراً إلى فوائد هذا الحديث : (وفيه ربط بين الاستبداد السياسي « قوم معهم سياط »، والانحلال الخلقي « ونساء كاسيات عاريات »، وهذا ما يصدقه الواقع، فإن المستبدين من الطغاة والمتسلطين من الفراعنة يشغلون الشعوب عادة بما يقوي الشهوات، ويزينها، ويلهي الناس بالمتاع الشخصي عن مراقبة القضايا العامة، لكي يبقوا سادرين في غفلاتهم، غارقين في شهواتهم، لا يهتمون

(٣٤٩) قال الإمام ابن الأثير الجزري رحمه الله : (« مائلات مميلات » مائلات : أي زائغات عن طاعة الله، وعما يلزمهن من حفظ الفروج، ومميلات : يُعَلِّمْنَ غيرهن الدخول في مثل فعلهن) اهـ محل الغرض منه (جامع الأصول ٧٨٩/١١).

وقال الشيخ إسماعيل حقي في تفسير قوله (مميلات) : (أي قلوب الرجال إلى الفساد بهن، أو مميلات أكتافهن وأكفالهن كما تفعل الراقصات، أو مميلات مقانعهن عن رؤوسهن لتظهر وجوههن) اهـ من (روح البيان) (١٧٠/٧) ــ وانظر هامش « المجموع »للنووي (٣٠٧/٤).

(٣٥٠) في كتابه (حكم النظر في الإسلام) ص (١٣٤).

بطغيان ، ولا يسألون عن إنحراف ، ولا يقاومون ظلماً ولا عدواناً) اهـ بمعناه .

أجل ! لقد تطرف هؤلاء « الأكابر » في انجذابهم إلى طريق الشيطان حتى خرجوا من الدائرة بالكلية، وصاروا هم في الحقيقة الرجعيين المتطرفين الداعين إلى الرجعية الجاهلية المظلمة قبل بزوغ فجر الإسلام .

ومن عجيب أمرهم أنه إذا أنكر عليهم منكر فتحهم باب الطعن في أحكام الإسلام احتجوا بأن هذه أمور تخضع للحرية الشخصية ، وأنه لابد من التزام مبدأ حرية الرأى والسلوك، أفلا يحتجون بحرية الرأى والسلوك في حق من يكفر بنظمهم « الأساسية »، ويطعن في مناهجهم العلمانية ؟ أم أنهم يغارون على دنياهم، ويستكثرون منا أن نغار على ديننا ؟

يقاد للسجن من سب الزعيم ومن سَبَّ الإله فإن الناس أحرارُ